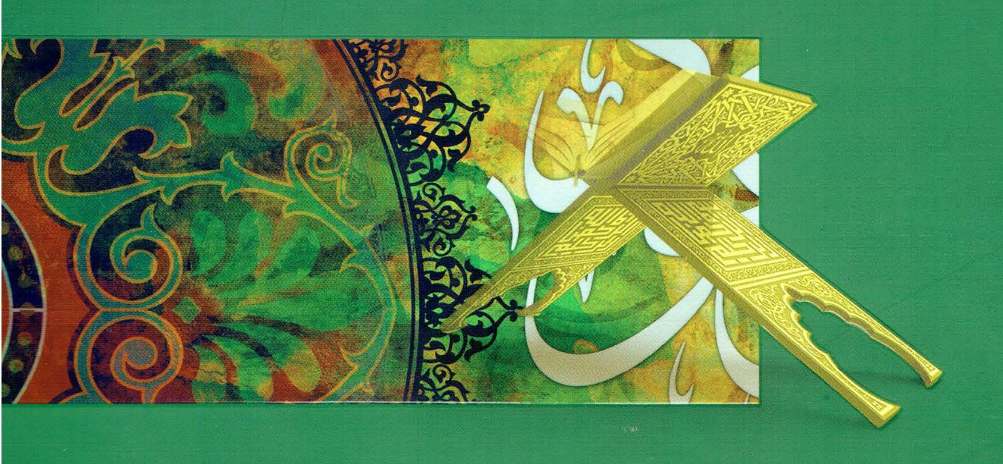
قواعد تدبر القرآن

وتطبيقات على قصار المفصل



إعداد

د. عقيل بن سالم الشمري



الطبعة الثالثة


قواعد تدبر القرآن
وتطبيقات على قصار المفصل

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشمري، عقيل بن سالم بن عقيل
قواعد تدبر القرآن وتطبيقات على قصار المفصل/
عقيل بن سالم بن عقيل الشمري ـ ط٣ ـ الرياض ١٤٤٤هـ
١٢٠ ص؛ ١٦,٥×٢٢ سم
ردمك: ٣-٧٩-٨٣٨١-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ القرآن ـ أحكام ٢ ـ القرآن ـ مباحث أ ـ العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٤٤/٦٥١٨

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٥١٨
ردمك: ٣-٧٩-٨٣٨١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثالثة
١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٣م



دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ـ ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨
البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com

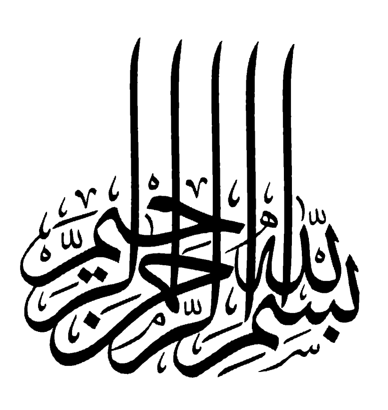
قواعد تدبر القرآن

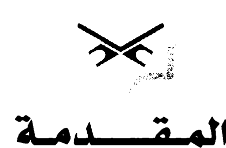
وتطبيقات على قصار المفصل

إعداد

د. عقيل بن سالم الشمري




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فالله أنزل القرآن بيانًا وهدى للناس أجمعين في جميع شؤونهم، وبتأمل لبعض الآيات نجد ما يلي:

- جعل الله القرآن شفاءً بإطلاق فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ [الإسراء: ٨٢] وهذا يشمل الشفاء من الأمراض والازدياد من العافية.

- وبين تعالى أنه لو أنزله على جبل لتصدع إيذانًا بعظم القرآن وما فيه من المعاني فقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١].

- وربط سبحانه الشرف والفخر والذكر بالقرآن فقال: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

- وجعل القرآن ميسرًا فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧] وأول ما يشمله التيسير تيسير تدبره وتفهمه.

ـ وبيّن سبحانه أن القرآن أحسن الحديث فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] وحسنه دلالة على اكتفاء المؤمن فيه عن جميع الأحاديث الأخرى.

ولهذا أمر عباده سبحانه بالتدبر فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٩]، ولأهمية تدبر القرآن فإن السؤال الوارد كثيرًا: كيف أتدبر القرآن؟

وقد ألف أهل العلم في تدبر القرآن الرسائل الكثيرة ـ سيأتي بيان شيء منها ـ فأحببتُ أن أضع سهمي مع سهامهم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، من خلال جمع بعض القواعد المعينة على التدبر بحول الله، وأسميت هذه الرسالة: (قواعد تدبر القرآن وتطبيقات على قصار المفصل) وجعلتها على ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: التدبر مفهومه وأصوله:

وذكرتُ فيه:

ـ تعريف التدبر لغة وشرعًا.

ـ الفرق بين التدبر والتفسير.

ـ فضل التدبر وأهميته.

ـ الأسباب المعينة على تدبر القرآن.

ـ مفاهيم خاطئة في التدبر.

الفصل الثاني: قواعد التدبر:

واستعنتُ الله في جمع ثلاثين قاعدة من كلام أهل العلم من قواعد التدبر التي يكثر استعمالها بينهم، وأتبعت القاعدة بتوضيح وشرح مبسط لها، ثم ذكرتُ مثالين على كل قاعدة.

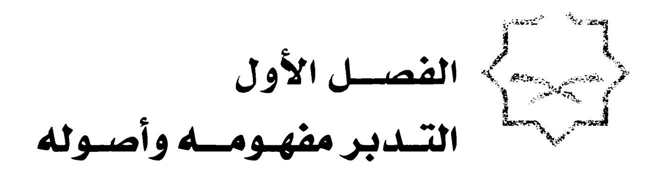
الفصل الثالث: تطبيقات على قصار المفصل:

واخترتُ قصار المفصل لكونها أكثر محفوظ بين المسلمين، وابتدأت السورة بتفسير مختصر لها اعتمدتُ فيه على التفسير الميسر لانضباط منهجه وسهولة لفظه، ثم اتبعتُ السورة بجمع التدبرات مستعملًا قواعد التدبر ليكون أرسخ في ذهن القارئ.

وإني أحمد الله الذي امتن عليَّ بخدمة كلامه الشريف، وأطلب من أهل العلم الذين اختارهم الله لنوره أن يجمعوا قواعد للتدبر، ويقيموا دورات تطبيقية في شرحها وتوضيحها، سائلًا الله أن يوفقني للخير، وأن يتقبل عملي، وأن يغفر لوالديَّ ويسبغ عليهما فواتح رحموته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

د. عقيل بن سالم الشمري



الفصـــل الأول
التــدبر مفهـومـــه وأصـوله

التدبر في اللغة:

مصدر (تَدَبَّر)، وأصلها يدل على آخر الشيء وخلفه، ودبر كل شيء عَقَبَهُ ومُؤَخره، ومن ذلك قول الله: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] أي: أواخر الصلوات.

التدبر في المعنى الشرعي:

تنوعت تعريفات أهل العلم للتدبر، فمنها:

أ ـ قال الزمخشري: «تأمل معاني القرآن وتَبَصُّر ما فيه»[١].

ب ـ وقال القرطبي: «هو التفكر فيه وفي معانيه»[٢].

ج ـ وقال ابن القيم: «هو تحديق ناظر القلـب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله»[٣].

د ـ وقال الشـيخ السـعدي: «هو التأمل في معانيه وتحديـث الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك»[٤].

(١) انظر: تفسير الكشاف ١/ ٥٤٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٩٠.

(٣) انظر: مدارج السالكين ١/ ٤٥١.

(٤) انظر: تفسير السعدي، ص١٩٣.

هـ ـ وقال الشيخ خالد السبت حفظه الله: «النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعبر والمقاصد، الذي يثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية»[(١)].

وليس بين هذه التعريفات اختلاف كبير «فلا بد للتدبر من ركنين أساسيين باجتماعهما يتميز التدبر عن غيره، وهما:

١ ـ الركن النظري: وهو يمثل الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، ويدخل في الركن: التفسير والاستنباط والتفكر والتأمل.

٢ ـ الركن العملي: وهو يمثل التفاعل مع الآيات، وقصد الانتفاع والامتثال، ويدخل في هذا الركن: الاعتبار والاتعاظ والتذكر»[(٢)].

الفرق بين التفسير والتدبر:

التفسير هو: الكشف عن معاني القرآن، بينما التدبر هو النظر بعد ذلك في معاني الآيات والتفكر فيها، فمثلًا[(٣)]:

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

فتفسيرها: أن صاحب مدين يقول لموسى ﷺ: إني أريد أن أزوجك إحدى بناتي مقابل أن تكون أجيرًا عندي ثماني سنوات، فإن أتممت عشر

(١) انظر: الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، ص١٣.
(٢) انظر: مبادئ تدبر القرآن الكريم، ص١٩.
(٣) مبادئ تدبر القرآن، ص٢١ ـ ٢٢. بتصرف.

سـنوات فهو أفضل، ولا أريد أن أشـق عليك في العمل، ستجدني صالحًا إن شاء الله.

وأما تدبرها: ففي الآية بعض الفوائد، منها:

١ ـ فيهـا حسـن اسـتغلال الفرصـة كمـا فعـل صاحـب مديـن مـع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حيث استغل فرصة كون الرجل أمينًا.

٢ ـ عدم جـواز الجمع بين الأختين، وهذا من شـرع مـن قبلنا جاء في شرعنا ما يؤيده.

٣ ـ جواز كون المهر منفعةً.

٤ ـ يدل على وجود الحج في شرع من قبلنا.

٥ ـ عدم المشقة على العمال.

وغير ذلك من الفوائد التي تستخرج من الآية نتيجة لتدبرها والنظر فيها.

فضل التدبر(١) وأهميته:

١ ـ الامتثال لأمـر الله في قولـه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤]، فهو من أجل الأعمال وأفضل التعبدات(٢).

٢ ـ التدبر جزء مـن تعلم القرآن الوارد ف قـول النبي ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه»(٣).

(١) انظر: مبادئ تدبر القرآن الكريم، ص٤٦. والخلاصة في تدبر القرآن الكريم، ص٢١.

(٢) انظر: الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، ص٢٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧).

٣ ـ التدبر دواء للقلب من أمراضه، قال إبراهيم الخواص: «دواء القلب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»[١].

٤ ـ أنه طريق للعملِ بالقرآن؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]: والذي نفسي بيده إنَّ حق تلاوته إن يُحل حلاله، ويحرم حرامه»[٢].

٥ ـ أنه طريق لاستخراج العقائد والأحكام كما قال ابن تيمية: «فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»[٣].

٦ ـ يوقف المتدبر على مجامع الخير ومعاقد الشرور كما قال ابن القيم رحمه الله: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقهما وأسبابهما، وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلها»[٤].

٧ ـ التدبر يُعَرِّفُ العبد على ربه وعلى صراطه المستقيم، وعلى عدوه الشيطان الرجيم[٥].

(١) انظر: التبيان في آداب حلمة القرآن، ص٦٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٥٦٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٥/ ٩٤.

(٤) انظر: مدارج السالكين ١/ ٤٥١.

(٥) انظر: مدارج السالكين ١/ ٤٥٢.

الأسباب المعينة على تدبر القرآن[1]:

١ ـ حضور القلب[2]:

والمـراد: أن يكـون يقـظ القلـب منتبهًـا غير سـاهٍ ولا غافـل، وبذلك يستجمع قلبه لإدراك الآية وفقهها والنظر فيها والتأمل في معانيها وعرضها على حاله وسلوكه.

وقد استشـهد ابن القيم علـى ذلك بقولـه تعالـى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [قٓ: ٣٧] فقال: «فَتَأمل مَا تَحت هَذِهِ الألفاظ من كنوز الْعلم وَكَيف تفتح مراعاتهـا للْعَبد أبواب الْعلم وَالْهدى وَكَيف ينغلـق بَاب الْعلم عَنهُ من إهمالهـا وَعدم مراعاتهـا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمـر عبـاده أن يتدبروا آيَاتـه المتلوة المسـموعة والمرئية المشـهودة بِمَا تكون تذكـرة لمن كَانَ لَهُ قلـب فَإِن من عدم الْقلب الواعي عَـن الله لم ينْتَفع بِكُل آيَة تمر عَلَيْهِ وَلَو مرت بِهِ كل آيَة، وَلَكِن صَاحب الْقلب لَا ينْتَفع بِقَلْبِه إلا بأمرين أحدهما أن يحضرهُ ويشـهده لما يلقى إليه، فَإِن كَانَ غَائِبًا عَنهُ مُسَـافِرًا فِي الأماني والشهوات والخيالات لَا ينْتَفع بِهِ فَإِذا أحضره أشـهده لم ينْتَفع إلا بَأن يلقى سَمعه ويصغى بكليته الى ما يوعظ بِهِ ويرشد اليه».

(١) اختلفـت مناهج أهـل العلم في ذكـر الأسـباب المعينـة علـى التدبر فمنهم مـن يجعـل الأسباب هي الشروط، ومنهم من يقسمها إلى حسية ومعنوية، وآخر يقسمها إلى ضرورية وتحسينية، ولاختصار هذه الرسالة سأقتصـر على سرد أهـم ما ظهـر لي كونـه سببًا.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم، ص ٣.

٢ ـ فهم معاني الآيات:

تدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن[١]، فالتدبر فرع عن معرفة المعنى وفهمه كما قال ابن جرير الطبري: «لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يَفْهَمْ مَا يُقَالُ لَهُ وَلَا يَعْقِلُ تَأْوِيلَهُ: اعْتَبِرْ بِمَا لَا فَهْمَ لَكَ بِهِ، وَلَا مَعْرِفَةَ مِنَ الْقِيلِ وَالْبَيَانِ والكلام إِلَّا عَلَى مَعْنَى الأَمْرِ بِأَنْ يَفْهَمَهُ وَيَفْقَهَهُ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ وَيَعْتَبِرَ بِهِ، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَمُسْتَحِيلٌ أَمْرُهُ بِتَدَبُّرِهِ، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ جَاهِلٌ، كَمَا مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِبَعْضِ أَصْنَافِ الأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَلَا يَفْهَمُونَهُ»[٢].

وبناء على هذا فالتدبر يختلف باختلاف أفهام الناس حول الآية، فمن عرف أدنى المعنى يختلف عمن تعمق بعلوم الآلة وأدرك أسرار اللفظ القرآني، وبالجملة فالمراد تقرير أن التدبر فرع عن فهم المعنى ولا يمكن بدونه.

٣ ـ سلامة طريقة التفكير:

التدبر يقوم على التأمل والتفكير في الآيات، فكلما كان التفكير سليمًا صحيحًا قائمًا على فهم للمعنى كان التدبر سليمًا، فمن يجعل القرآن لا يتناسب مع الزمن المعاصر أو أنه خاص بفترة ماضية، وأصحاب الأهواء كالقدرية والخوارج والمرجئة والمعتزلة والرافضة والمناهج المنحرفة تكون نتائج تدبرهم خاطئة إذ أنها تقوم على طريقة خاطئة في التفكير، وكثيرًا

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري ١/ ٧٧.



ما يلجأ أصحاب الأهواء إلى الاستدلال ببعض الآيات دون بعض أو تأويل كثير من الآيات التي لا توافق أهواءهم.

٤ ـ تثوير القرآن[١]:

والمـراد بذلك: إثارة الأسـئلة التـي تُعين علـى فهم القـرآن وتدبره، ثم محاولة التفكير في الإجابة عنها، وعرضها على كلام أهل العلم أو سؤالهم عنها ليزداد الإنسان بصيرة.

وليجتنـب المتدبر نشـر تدبـره لأول وهلة حتـى يكون عنـده دربةٌ على التدبر الصحيح، ومن أكثر الأسـئلة التي ينبغي للإنسـان أن يسـتصحبها في تدبره: ما الحكمة من...؟

ففي سورة الفاتحة مثلًا:

ما الحكمة من الابتـداء بالحمد؟ وما الحكمة من تقديـم الرحمن على الرحيـم، وما الحكمـة مـن ذكر يـوم الديـن؟ وما الحكمـة من ذكـر العبادة والاسـتعانة؟ وما الحكمة من تقديم العبادة على الاسـتعانة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تفتح الذهن للتدبر.

وليس القصد الاقتصار على سؤال الحكمة وإنما أردت بيان أكثر سؤال يحفز الذهن للتدبر.

(١) هذا المصطلح ذكره ابن مسـعود رضي الله عنه بقولـه: (من أراد العلم فليثور القـرآن فإن فيه علم الأوليـن والآخرين) أخرجه الطبراني في الكبيـر (١٤٦/٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد برقم (٨٥٤).

٥ ـ التفاعل مع الآيات[١]:

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ فمرَّ بآية تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ بآية تعوذ تعوذ[٢].

وهذا التفاعل إذا صاحبه حسن اختيار للمكان، مع جهر بالقراءة، وجودة صوت وتغنٍ في الترتيل، وتكرار لبعض الآيات، أو حسن انصات واستماع فلا يكاد يخطئ تدبره.

٦ ـ انتفاء الموانع:

اتفقت كلمة العلماء على أن التدبر لا بد أن تنتفي عنه الموانع، ومنها:

أ ـ الذنوب[٣]:

والمراد: أن الإصرار على الذنب يمنع الانتفاع بما يقرأه من آيات القرآن، وليس المراد أن المذنب لا يتدبر؛ إذ كل أحد مأمور بالتدبر، كما أن التدبر علاج وشفاء من أمراض الشهوات والشبهات، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وعلى هذا كلما كان الإنسان تائبًا منيبًا لربه مستغفرًا لذنبه كان تدبره للقرآن أصح وأقوم سبيلًا.

(١) انظر: مبادئ تدبر القرآن الكريم، ص ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم (٧٧٢).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨٠.

ب ـ انشغال القلب وشرود الذهن[١]:

التدبر لا يكون إلا بحضور قلب وانتباه ذهن، فمتى ما انشغل القلب وشرد الذهن فلا يمكن للإنسان أن يتدبر، وعلى هذا فلا بد للمتدبر أن يستجمع قواه الذهنية ويجمع قلبه على ما يسمعه أو يقرأه من الآيات ليتفكر فيها، كما قال وهب بن منبه: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى؛ وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها. فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم[٢].

فنلاحظ في كلام وهب أن المتدبر يجاهد نفسه في حضور القلب وعدم انشغاله، وفي جمع قواه الذهنية على ما يسمعه أو يقرأه من كلام الله.

ج ـ ضعف اللغة العربية:

القرآن عربي كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣]، فلا سبيل إلى فهم معانيه وتدبره إلا بفهم اللغة العربية كما قال ابن تيمية: «فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٣].

(١) انظر: تدبر القرآن للسنيدي، ص ٤٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٦.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٢٠٧.

فمن كان ضعيفًا في اللغة العربية وأساليبها فسيكون ضعفه مانعًا له من التدبر الكامل الصحيح.

مفاهيم خاطئة في التدبر:

هناك بعض المفاهيم الخاطئة في التدبر، وهذه النقطة داخلة في الموانع السابقة لكني أفردتها لأهميتها، ومن هذه المفاهيم:

١ ـ الربط بين التدبر والبكاء:

ثبت عن النبي ﷺ بكاؤه أثناء قراءة القرآن كما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال ابن مسعود: فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان[١]، وقد كان السلف يبكون عند قراءة القرآن ويستدعون البكاء.

والخطأ أن يُعتقد الربط بين التدبر والبكاء فلا تدبر إلا ببكاء، بينما في الحقيقة الجهة منفكة؛ لأن التدبر عملية ذهنية قلبية تقوم على التأمل والتفكر في الآيات، بينما البكاء هو من نتائج ذلك التفكر، وينبغي أن يُعلم أن البكاء من خشية الله عند قراءة كتاب الله من أجلِّ الأعمال الصالحة، وقد كان السلف يبكون ويتباكون عند قراءة القرآن لكن الخطأ هو الربط بينهما بحيث أن الإنسان الذي لا يعرف من نفسه البكاء يكون ذلك مانعًا له من التدبر.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) برقم (٥٠٥٠)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن، برقم (١٣٩).

٢ ـ اعتقاد صعوبة التدبر وتعقيد تصوره:

يعتقد البعض أن التدبر معقد العملية ولا يقدر عليه إلا المتخصصون في التفسير وأهل العلم الراسخين فيه، بينما نجد الله أمر عامة المسلمين بتدبر القرآن كلٌّ حسب استطاعته وقدرته وأدواته.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: أُنزل القرآن على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، ووجه لا يعذر أحدٌ بجهله، ووجه يعلمه العلماء، ووجه لا يعلمه إلا الله تعالى(١).

فالوجه الذي تعرفه العرب من كلامها والوجه الذي لا يعذر أحدٌ بجهله يدل على أن التدبر مقدور عليه في الجملة، وإنما يتفاوت الناس في عمق التدبر وسعته بناء على اختلافهم في الأدوات المعينة عليه.

٣ ـ ربط التدبر بقوة الإيمان فقط:

من تلبيس إبليس على المتدبر أن يربط التدبر بقوة الإيمان، فيقع في ذهن الإنسان أن المتلطخ بالذنوب والخطايا لا يستطيع أن يتدبر كلام الله.

ومن تأمل آيات التدبر في القرآن وَجَد أن الله خاطب بالتدبر الكفار والمنافقين، فقال في شأن الكفار: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال في شأن المنافقين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

(١) انظر: تفسير الطبري ١/ ٧٥.

وإذا عرفنا أن التدبر علاجٌ نافع للخطايا والذنوب ـ إذ هو يزيل رانها ويزرع هيبة الله في قلب المؤمن ـ أدركنا حاجة البشر جميعًا للتدبر.

ولا شك أن قوة الإيمان وحياة القلب ودوام الذكر والاستغفار لها تأثير على صحة التدبر وانتفاع القلب بذلك، إنما التنبيه على حبائل إبليس في تقنيط الإنسان من التدبر حال ذنوبه، والمؤمن يعالج نفسه بالاستغفار والمجاهدة، والله وليه ونصيره.

٤ ـ حصر التدبر على الصلاة أو القراءة الفردية:

أمر الله بالتدبر مطلقًا فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٩]، وكان النبي ﷺ متدبرًا حال صلاته وانفراده، ومع أهله وصحابته.

ومن الخطأ حصر حالة التدبر على الصلاة أو القراءة الفردية للقرآن، بينما ورد في السنة التدبر عن طريق المدارسة كما قال النبي ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مراكز تحفيظ القرآن، والغرف الصوتية على الإنترنت، وبرامج الهواتف الذكية(٢).

(١) أخرجه مسلم كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم (٢٦٩٩).

(٢) انظر: مبادئ تدبر القرآن الكريم، ص ٧٥.

٥ ـ اعتقاد أن القرآن لا يقرأ إلا بالتدبر:

فصَّل أهل العلم أحوال الناس تجاه قراءة القرآن وأفضلية ذلك، فقال الإمام النووي: «أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص:

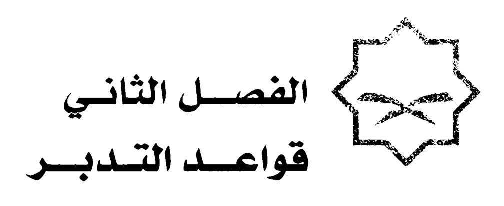
ـ فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له.

ـ وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة»[١].

وقد كان السلف يتفننون في تنويع قراءة القرآن ما بين قراءة التدبر والتأمل وقراءة استكثار الأجر، فقد كان بعض السلف له في كل شهر ختمة، وفي رمضان في كل يوم وليلة ختمة، وبقي في ختمةٍ بضع عشرة سنة حيث يخصصها للتدبر والنظر والتأمل والتفكر[٢].

فمن الخطأ أن الإنسان يجعل قراءته للقرآن لإرادة التدبر فقط؛ فإن لم يجد من نفسه نشاطًا وقوة ترك قراءة القرآن إذ أنه يتصور ارتباط القراءة بالتدبر فقط، وهذا فهم قاصر، والمؤمن يجاهد نفسه على أن يكون متدبرًا دائمًا فإن لم يستطع لاختلاف حالات نفسه فلا يفوت على نفسه الأجر بالقراءة ولو لم يتدبر.

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٦١.
(٢) انظر: حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢.



الفصل الثاني
قواعد التدبر

القاعدة الأولى:
صيغة الفعل المضارع تدل على التكرار والمداومة على الفعل[١]

توضيح القاعدة:

الفِعلُ الْمُضارعُ هوَ كلُّ فعْلٍ يدُلُّ على حصول عمل في الزمن الحاضر أَو المُسْتَقبَلِ، وَلا بـد أن يكون مَبْدُوءًا بحرفٍ منْ أَحـرف المُضَارَعةِ وهي الْهمزَةُ والنُّونُ والْياءُ وَالتَّاءُ[٢].

فإذا وُجد في الآية فعل مضارع فإنه يفيد التكرار والمداومة على حسب سياق الآية الكريمة، لأن زمن الفعل المضارع هو الحال والمستقبل.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أ ـ التدبر: في الآية دلالة على طلب المؤمن استمرار عبادته وتجددها؛ لقول الله ﴿نَعْبُدُ﴾ وهي فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار.

(١) انظر: شرح التلويح على التوضيح ١/ ٨، والتقرير والتحرير في علم الأصول ٢/ ٣٠٥.
(٢) النحو الواضح ١/ ٣٢.

ب ـ **التدبر**: في الآية دلالة على طلب المؤمن استمرار استعانته بربه لتحقيق العبودية، لقوله ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وهي فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار.

٢ ـ **قوله**: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

ـ **التدبر**: في الآية دلالة على أن إيمانهم بالغيب يتجدد ومستمر، لأن قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وهو فعل مضارع يفيد التجديد والاستمرار.

القاعدة الثانية:

الجملة الإسمية تدل على الدوام والثبوت

توضيح القاعدة:

الجملة الإسمية هي: كل جملة مفيدة، مركبة من اسمين، أولهما مبتدأ، والثاني خبر.

وسميت إسمية لأنها مبدوءة باسم[1]، وهي في الأصل تفيد: الثُّبُوت[2]، أي: ثبوت الحكم الموجود في الآية.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

ـ **التدبر**: تدل على ثبات الفلاح لهم ودوامه؛ لأن ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ جملة إسمية، وهي تفيد الثبات والدوام.

٢ ـ قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. أي: محبوس.

ـ **التدبر**: تدل على ثبات ودوام حبسه إذ أنه في ظلمة بطن الحوت والبحر لولا أن تداركه نعمةٌ من ربه، وذلك لأن ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ جملة إسمية تفيد الثبات.

(١) النحو الواضح ١/ ٥١.

(٢) انظر: النحو الوافي، ١/ ١٤٥، وجلاء الأفهام، ص ٢٧٢.

القاعدة الثالثة:

التنكير في القرآن يأتي للتعظيم أو للتحقير حسب سياق الآية[1]

توضيح القاعدة:

النكرة هي: ما وضع لشيء لا بعينه[2]، والتنكير في القرآن كثيرًا مَا يَجِيء للتعظيم والتحقير، ووجه ذلك:

أن الشيء الْمُنَكَّر يأتي للتعظيم بحيث أننا لا نعلم مقدار عظمته، وأحيانًا يكون لحقارة شأنه بحيث أنه يُنَكَّر.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ـ **التدبر**: دلت الآية على عظم حفظ القصاص لحياة الناس؛ لأن كلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ نكرة والتنكير يفيد التعظيم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

ـ **التدبر**: دلت الآية على حقارتهم ومهانتهم؛ لأن كلمة ﴿بُعْدًا﴾ نكرة والتنكير يأتي للتحقير.

(١) انظر: مفتاح العلوم، ص١٩٤، مفتاح دار السعادة ٢/ ٩٧.

(٢) انظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ١/ ٤٣١.

القاعدة الرابعة:
التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يفيد تحقق الوقوع(١)

توضيح القاعدة:

لتصوير أمرٍ من أمور المستقبل مما هو حقٌ ويقين وصدق أن يأتي الفعل بصيغة الماضي ليعطي السـامع معنى الوقوع والحـدوث؛ إذ أن القرآن حق لا يأتيه الباطل.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

ـ **التدبـر**: قولـه: ﴿وَقُضِىَ﴾ يفيد تحقق فصـل القضاء يـوم القيامة؛ لأنه أخبر سـبحانه عن القضـاء بكلمـة ﴿وَقُضِىَ﴾ وهي فعـلٌ ماضٍ عُبِّـر به عن المستقبل فيفيد تحقق الوقوع.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الإنشقاق: ١].

ـ **التدبـر**: أفاد قولـه: ﴿ٱنشَقَّتْ﴾ على تحقق وقـوع يوم القيامة وانشـقاق السـماء، وفـي ذلـك تربيـة للمؤمـن علـى اليقيـن باليـوم الآخـر؛ لأنـه كلمة ﴿ٱنشَقَّتْ﴾ فعلٌ ماضٍ عُبِّر به عن أمر من أمور المستقبل فيفيد تحقق الوقوع.

(١) انظر: المنهاج الواضح للبلاغة ١/١٠٩، والبلاغة العربية ١/٥٠٩، والتحرير والتنوير ٨/١٨.

القاعدة الخامسة:

وضعُ اللفظ الظاهر مكان اللفظ المُضمر لا بد له من فائدة[1]

توضيح القاعدة:

الأصل في الكلام أن يكون على الظاهر، وقد يوضع الضمير أحيانًا بدل اللفظ الظاهر وهذا إنما يكون لأسباب بلاغية، فالقاعدة تبين أن الكلام حينما يعاد فيه اللفظ الظاهر ولا يكتفى بالضمير فإن ذلك يكون لعدة فوائد، منها[2]:

١ ـ التعظيم: كقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فأُعيد لفظ ﴿اللَّهُ﴾ مرة أخرى لإفادة التعظيم.

٢ ـ التحقير والإهانة: كقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

٣ ـ إزالة اللبس: كقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

فأُعيد لفظ ﴿السَّوْءِ﴾ لإزالة اللبس، فلو قيل: عليهم دائرته لأوهم أن المراد: دائرة الله.

٤ ـ لإدخال المهابة والروعة في قلب السامع، كقوله: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢].

فأُعيد لفظ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ تعظيمًا لشأن القيامة وترهيبًا بذكرها.

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٩٤.

(٢) انظر: أساليب بلاغية، ص ٢٥١.

القاعدة السادسة:

زيادة المبنى تدل على زيادةٍ في المعنى[1]

توضيح القاعدة:

أن المعنى في لغة العرب مرتبطٌ باللفظ وهو المقصود بالمبنى، فالمعنى اللطيف يناسبه من الحروف ما يؤدي معناه، فإذا زاد المعنى قوةً زادت الحروف، أو انتقل إلى وزن أكثر من الأول، ومن هنا كانت زيادة الحروف في الكلمة دلالة على زيادة في معناها، وقد تكون الزيادة في الحروف أو الوزن.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ـ **التدبر**: دلت كلمة ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أن المسلم مأمور بشدة الصبر والمصابرة على أداء الصلاة، لأن كلمة ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ فيها زيادة حروف؛ والزيادة في مبنى الكلمة زيادة تدل على زيادة في معناها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

ـ **التدبر**: الشدَّة في كلمة ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ يدل على وصف المؤمنين بشدة التمسك بالكتاب؛ إذ أن الشدة تعني حرفًا مضعفًا.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

ـ **التدبر**: يدل قوله: ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ على عظيم قدرة الله سبحانه المحيطة بكل شيء؛ لأن صيغة (مقتدر) أشد من (قدير) لكثرة حروفها.

(١) انظر: الفروق للقرافي ١/ ٤، والمثل السائر ٢/ ٢٥٠.

القاعدة السابعة:

حذف جواب الشرط يدل على التعظيم والتهويل(١)

توضيح القاعدة:

الشرط يقتضي أن يتحقق جواب الشرط بعد تحقق فعل الشرط كقولنا: إن تزرني أُكرمك، فقد عُلِّق الإكرام على الزيارة.

وأدوات الشرط منها (إن ـ إذ ما، مَن، ما، مهما، متى، أيان، أين، أنَّى، حيثما، أي، إذًا، كيف، لو)(٢).

والأصل أن تأتي أداة الشرط ثم فعل الشرط ثم جواب، وأحيانًا يحذف الجواب بقصد التهويل والتعظيم.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

ـ **التدبر**: جواب (لو) محذوف ليفيد التهويل والتعظيم، فالمعنى: ولو ترى إذ وقفوا على النار لرأيت أمرًا عظيمًا من خوفهم وهلعهم وحسرتهم.

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢٥/٢١٨.

(٢) على خلاف في بعضها، وتفصيل أحكام باب الشرط كتب اللغة. انظر: النحو الوافي ٤/٤٢٢.

٢ ـ قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ـ **التدبر**: جواب (لو) محذوف ليفيد هول المنظر للظالمين في غمرات الموت، فالمعنى: ولو ترى الظالمين في غمرات الموت لرأيت هلعًا وخوفًا شديدًا.



القاعدة الثامنة:
صلة الموصول تكون علةً ومقصودةً لما قبلها[(١)]

توضيح القاعدة:

الاسم الموصول هو: ما يدل على معين بواسطة جملة أو شبه جملة تُذكر بعده تسمى صلة الموصول، ومن الأسماء الموصولة: الَّذي، اللَّذان، الَّذين، الألى، وللمؤنَّث: الَّتي، اللَّتان، اللَّاتي، اللَّائي، اللَّواتي[(٢)].

فمثلًا: أكرم الذي عنده أدب.

فالاسم الموصول: الذي.

وصلة الموصول: عنده أدب.

فالقاعدة تدل على أن صلة الموصول (عنده أدب) هي العلة والمقصود للإكرام.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ـ **التدبر**: صلة الموصول ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ هي العلة المقصودة لرمضان، فيكون شرف رمضان لإنزال القرآن فيه.

(١) انظر: النحو الوافي، ص ١/ ٣٧٣.
(٢) انظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، ص ٥٩.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [غافر: ٦٣].

ـ **التدبر:** صلة الموصول ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ تدل على أنها هي علة الصرف، والمعنى: يصرفون عن الإيمان؛ لأنهم يجحدون بالآيات.

القاعدة التاسعة:

عطف الخاص على العام يدل على أهمية الخاص[(١)]

توضيح القاعدة:

أن يأتي لفظٌ عام مستغرق لأفراده ثم يعطف عليه لفظٌ خاص داخل في اللفظ العام، فهذا العطف دليلٌ على أهمية هذا الخاص، قال ابن القيم: «وَهَذَا كنظائره من عطف الْخَاص على الْعَام وَعَكسه تَنْبِيهًا على شرفه وتخصيصًا لَهُ بِالذكر من بَين النَّوْع لِأَنَّهُ من أَحَق أَفْرَاد النَّوْع بِالدُّخُولِ فِيهِ»[(٢)].

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ـ التدبر: عُطف قوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ مع كونها داخلة في ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ليبين سبحانه أهمية الصلاة الوسطى؛ لأن عطف الخاص على العام دليلٌ على أهميته.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

ـ التدبر: عُطف قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ مع كونهما عليهما السلام داخلين في الملائكة لبيان منزلة الْمَلَكين الكريمين عليهما السلام.

(١) انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق.

القاعدة العاشرة:

زيادة المؤكدات في الآية تدل على عظم الْمُؤَكَّد وأهميته[1]

توضيح القاعدة:

الجملة الخبرية تُـزاد فيها المؤكدات على حسـب أهميـة الخبر وإنكار السـامع، فإذا وُجـد في الآية أكثـر من حرف توكيـد فـإن ذلـك يـدل علـى أهميـة ما يُـراد توكيده، ومن حروف التـوكيد: (إنَّ ـ أنَّ ـ لام الابتداء).

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢].

ـ **التدبـر**: اجتمع فـي الآية مؤكدان همـا: (إنَّ) و(لام التوكيـد) مما يدل على تأكيد نعيم الأبرار.

٢ ـ قولـه تعالـى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

ـ **التدبـر**: اجتمـع فـي الآية عـدة مؤكـدات (إنَّ) و(نـا) ضميـر المتكلم المعظم لنفســه، و(له) والتي تفيد التخصيص، مما يدل على تأكيد ما أعطاه الله لذي القرنين وعظمته.

(١) انظر: البلاغة العربية ١/ ١٧٩.

القاعدة الحادية عشرة:
كل ما أقسم الله به فهو مُعَظَّم[(١)]

توضيح القاعدة:

القسم في القرآن يراد منه تحقيق الخبر وتأكيده، ويجمع المفسرون أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته؛ لأنها دالة على قدرته، وليس للمخلوق أن يحلف إلا بالله تعالى[(٢)]، فالقاعدة تَنُص على أن كل ما أقسم الله به في كتابه فهو عظيم القدر والمنزلة؛ لأنه سبحانه عظيم.

تنبيه:

كل قسمٍ في القرآن فيصح أن تستنبط منه ما يلي:

أ ـ دل القسم على عظمة المقسَم به وشرفه.

ب ـ إقسام الله بالمقسَم عليه فيه حثٌّ على التفكّر بالمقسَم عليه.

ج ـ في هذا القسم نهي عن الغفلة عن إعمال الفكر في المقسَم عليه.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢].

ـ **التدبر**: إقسام الله بالضحى دليل على شرف هذا الوقت إذ به ارتفاع الشمس وحركة الحياة، فكل ما أقسم الله به فهو عظيم.

(١) انظر: حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم، ص٩٩.

(٢) انظر: أضواء البيان ٨/ ٤٤٢.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

ـ التدبر: إقسـام الله بعُمُرِ النبي ﷺ يدل على عظيـم منزلته عنده ومحبته له، إذ لا يقسم الله إلا بعظيم.

القاعدة الثانية عشرة:

التشبيه بين أمرين في القرآن يقتضي وجوهًا من المشاركة[1]

توضيح القاعدة:

التشبيه هو: عقد مماثلة بين أمرين في أمر جامع بينهما بإحدى أدوات التشبيه (الكاف ـ كأن ـ مثل)[2]، فإذا وجد في القرآن تشبيهًا بين أمرين فإنه يدل على وجود أمورًا مشتركة بينهما، فيُعمل الفكر ويحفز الذهن لاستنباط أوجه المماثلة بينهما.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ـ **التدبر**: حرف التشبيه الكاف ﴿كَمَا﴾ يقتضي التشابه بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، ومن فوائد التشبيه: تحفيز المسلمين على الصيام، والتهوين على المكلفين من شأن العبادة، وإثارة العزائم عند هذه الأمة لينافسوا قوة الأمم من قبلهم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥].

(١) انظر: البلاغة العربية ٢/ ١٢٧، والإيضاح لعلوم البلاغة، ص٢٠٣.
(٢) انظر: المنهاج الواضح للبلاغة ٣/ ٩٢.

ـ **التدبر**: حرفي التشبيه ﴿مَثَلُ﴾ والكاف يفيدان تشبيه نور الله في قلب المؤمن، فالمشكاة هي صدر المؤمن، والمصباح هو القرآن والإيمان في صدره، والزجاجة قلبه، والكوكب الدري هو قلبه لما استنار فيه الإيمان والقرآن(١)، فتشبيه القلب بالزجاجة يقتضي الصفاء، كما يدل على أن الزجاجة تحتاج إلى عناية ورعاية لينفذ منها الضوء فكذلك القلب يحتاج إلى مراقبة ليمتثل أوامر الله.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ـ **التدبر**: دلت الآية على وجود شبهٍ بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة، ومن ذلك:

ـ أن الشجرة تحتاج إلى حسن اختيار لها ولمكانها؛ وكذلك الكلمة الطيبة تحتاج لانتقاء وحسن اختيار لها ولزمانها.

ـ أن الشجر فيه المثمر وغير المثمر؛ وكذلك الكلمة فيها المثمر وغيره.

ـ أن الشجرة الطيبة لن تعدم خيرًا من ثمرها أو ظلها أو الأجر المترتب عليها؛ فكذلك الكلمة الطيبة لن تعدم خيرًا من آثارها.

ـ الشجرة الطيبة تزداد كلما سقيتها؛ وكذلك الكلمة الطيبة تزداد كلما اتبعتها بعمل.

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص٤٢٨.

القاعدة الثالثة عشر:

حرف (على) يأتي للاستعلاء والتَمَكُّن في القرآن[1]

توضيح القاعدة:

الحروف في اللغة العربية لها معانٍ، فحرف (على) إذا ورد في القرآن فإنه يفيد الاستعلاء والتَمَكُّن على حسب سياق الآية.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٥].

ـ **التدبر**: أفاد حرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ على تَمَكُّن المؤمنين من الهدى وامتلاء قلوبهم منه، إذ أن حرف ﴿عَلَىٰ﴾ يفيد التمكُّن والاستعلاء.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ـ **التدبر**: يدل حرف ﴿عَلَىٰ﴾ على أن المسافر يأخذ برخصة الإفطار إذا تَمَكَّن من سفره وجدَّ به السير، وهذا أحد القولين في المسألة لأن حرف ﴿عَلَىٰ﴾ يفيد الاستعلاء والتَمَكُّن.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٥/٦٣، وبدائع الفوائد ٢/٦، واللباب في علل البناء والإعراب ١/٣٥٩.



القاعدة الرابعة عشر:
لام التعليل في القرآن تفيد علة الحكم(١)

توضيح القاعدة:

أفعال الله ﷻ معللة بالحكم ورعاية المصالح عند أهل السنة والجماعة، لأن جميع الأوامر والنواهي مشتملة على حِكم ومصالح عظيمة، فإذا ورد أشهر حروف التعليل وهو (لام التعليل) فإنه يفيد عليَّة الحكم.

أمثلة توضح القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ـ **التدبر**: لام التعليل ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ يدل على أن علة خلق الجن والإنس هي عبادة الله، لأن لام التعليل تفيد عليّة الحكم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

ـ **التدبر**: يدل لام التعليل في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ على أن الله يبتلي عباده ليتبين من ينصره وينصر رسله، وليتمايز أهل الإيمان عن غيرهم؛ لأن لام التعليل تفيد عليّة الحكم.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية ١/ ١٤٢، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة، ص ٢٠٠.

القاعدة الخامسة عشر:
حذف المعمول يفيد العموم[1]

توضيح القاعدة:

العامل في اللغة هو الذي يؤثر على غيره، فمثلًا الفعل يؤثر على الفاعل فيسمى عاملًا، وما بعده مما يقع عليه التأثير يُسمى معمولًا كالمفعول به مثلًا[2].

فأحيانًا يُحذف المعمول لأجل إفادة العموم، وهذا كثير في القرآن.

أمثلة توضح القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ـ التدبر: حذف مفعول ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ يفيد العموم، فيتذكرون أمر الله، والاستعاذة، والاستغفار وغيرها؛ لأن حذف المعمول = المفعول يفيد العموم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [المائدة: ٨٧].

ـ التدبر: حذف معمول ﴿تَعْتَدُوٓاْ﴾ ليفيد النهي عن كل أنواع الاعتداء؛ فإن حذف المعمول يفيد العموم.

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٤٠.

(٢) انظر: النحو الوافي ١/ ٤٤١، ومن العوامل: الفعل وحرف الجر وحرف الجزم وأداة النصب وأداة الشرط.

القاعدة السادسة عشر:

تذييل الآية بالأسماء الحسنى له ارتباط في الآية ولا بدّ(١)

توضيح القاعدة:

كثيرًا ما تختم الآية بالأسماء الحسنى وباستقراء هذه الآيات وقراءة كلام المفسرين نستنتج أن هناك تناسبًا بين ما في الآية من أحكامٍ وما خُتمت به من الأسماء الحسنى، فعلى المتدبر النظر والتأمل لإيجاد أحسن ما يكشف هذه العلاقة، وهذا فرع من فروع علم المناسبات.

أمثلة توضح القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

ـ **التدبر**: خُتمت الآية باسم الله ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ لإظهار علمه بخلق آدم عليه السلام، ولكون علمه سبحانه بحكمة وإحاطة تامة جاء اسم الله الحكيم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ـ **التدبر**: ختم الآية باسمي ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يتناسب مع تقرير الله للناس بالفقر مما يجعلهم محتاجين إلى غنيٍّ يعلِّقون عليه حاجات فقرهم، فلهذا خُتمت الآية باسم الله الغني، ولكونه سبحانه محمودًا لذاته ليس فقط لعطاياه ناسب أن يأتي اسم الله الحميد.

(١) انظر: القواعد الحسان، ص٥٣.

القاعدة السابعة عشر:

النداء في القرآن يأتي لمقاصد منها: إقبال الذهن والعناية بما سيقال بعده، ويأتي للتذلل

توضيح القاعدة:

النداء هو: طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء[1]، ويأتي النداء لعدة أغراض أهمها:

- إقبال الذهن والانتباه لما يقال بعده.
- التذلل والافتقار.

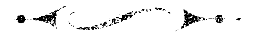
أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ـ **التدبر**: النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ يقتضي الانتباه ورعاية السمع، كما يدل النداء على أهمية الأمر بالصيام حيث سبقه تحفيز الأذهان له.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ـ **التدبر**: النداء بحرف النداء المحذوف والتقدير (يا ربنا) يقتضي التذلل والافتقار، فعلى الداعي مراعاة ذلك أثناء ضراعته.



(١) انظر: شرح ابن عقيل ٣/ ١٦.

القاعدة الثامنة عشر:

صيغ المبالغة في القرآن تفيد كثرة الشيء وشدته

وهي:

١ ـ فَعَّال: بتشديد العين: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ـ **التدبر**: اسم الله ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾ على صيغة فعَّال وهو يفيد كثرة مواهب الله وتعددها وتنوعها، وفي هذا فتح باب السؤال لله ﷻ.

٢ ـ مِفعال: بكسر الميم: قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١].

ـ **التدبر**: تدل على أن الله يرزق بالاستغفار المطر الكثير، ويفتح به مغاليق السماء؛ لأن قوله: ﴿مِّدْرَارًا﴾ على صيغة: مِفعال، وهي من صيغ المبالغة.

٣ ـ فَعُول: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ـ **التدبر**: تدل على عظم مغفرة الله وسعتها فلا تفوت إلا من كان محرومًا، لأن كلمة ﴿غَفُورٌ﴾ على صيغة: فعول، وهي من صيغ المبالغة.

٤ ـ فَعِيل: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

ـ **التدبر**: دلت الآية على أن الله سبحانه يسمع كل شيء وعليم لا يخفى عليه شيء، وفي هذا تربية على مراقبته والحياء منه، لأن قوله ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ على صيغة: فعيل، وهي من صيغ المبالغة التي تفيد الكثرة.

القاعدة التاسعة عشر:

حروف الاستقبال في القرآن تفيد حصول الأمر في المستقبل(١)

توضيح القاعدة:

حروف الاستقبال هي (السين وسوف) التي تدخلان على الفعل فيفيد الاستقبال، ويفرق أهل اللغة بينهما أن السين للمستقبل القريب، وسوف للمستقبل البعيد، فإذا ورد أحد الحرفين في آية فإنه يدل على المستقبل.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

ـ **التدبر**: دلت الآية على أن الله سيعطي الذين آمنوا محبةً من عنده، كما أفاد حرف الاستقبال في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ﴾ على قرب ذلك.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

ـ **التدبر**: دلت الآية على أن الله سيعقب العسر باليسر لوجود حرف الاستقبال في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ﴾ والذي يفيد قرب المستقبل، وفي هذا تربية على التفاؤل وحسن الظن بالله.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

(١) انظر: شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش ٥/ ٩٥.

- **التدبر**: دلت الآية على تهديد الله لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات بِالْغيِّ المُستَقبِل له في حياته.

- كما يدل حرف (سوف) على إمهال الله له العذاب حثًا له على التوبة.



القاعدة العشرون:

التنوين غالبًا يدل على التفخيم[(١)]

توضيح القاعدة:

من عادة العرب الاختصار، فمن ذلك أنهم اختصروا النون الساكنة في آخر الكلمة إلى تنوين، ثم كان من اختصارهم أن جعلوا التنوين يرمز إلى عظمة الشيء غالبًا كقولهم: (لكم جائزةٌ) فالتنوين يدل كونها جائزة كبيرة.

وأحيانًا يريدون به التحقير، كقولهم: (ما من شيءٍ).

أمثلة توضح القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس: ٥٨].

ـ **التدبر**: التنوين في كلمة ﴿سَلَٰمٌ﴾ يفيد أنه سلام عظيم إذ أنه من الله.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥].

ـ **التدبر**: التنوين في كلمة ﴿يُسۡرًا﴾ يدل على أن اليسر الذي يأتي به الله سيكون عظيمًا.

(١) انظر: نظم الدرر ٨/ ٥٤٦، وتاج العروس ٧/ ٢٢١.

القاعدة الحادية والعشرون:

الاستفهام في القرآن يراد به عدة أمور

١ ـ الأمـرُ: كقولـه تعالـى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

ـ **التدبر**: في الآية دلالة على أمر الله بترك الخمر والميسر وتحريمهما، بدلالة الاستفهام في قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ إذ أنه يفيد الأمر.

٢ ـ الإنكارُ، كقوله تعالى: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠].

ـ **التدبر**: يفيد الاستفهام الإنكار عليهم لدعوتهم غير الله.

٣ ـ التشويقُ، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

ـ **التدبر**: في الآية تشويق لتحفيز ذهن المستمع لدلالة الاستفهام على التشويق.

٤ ـ التقريرُ: كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

ـ **التدبر**: في الآية تقرير الله نبيه ﷺ بما أتاه من نعم، بدلالة الاستفهام في الآية.

٥ ـ التهويلُ: كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ٣].

ـ التدبر: الاستفهام عن الحاقة يفيد تهويل أمرها.

وهناك أغراض أخرى للاستفهام[١].



(١) يأتي الاستفهام: للاستبعاد مثل: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [الدخان: ١٣]، والتعظيم مثل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والتحقير مثل: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، والتعجب مثل: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِى فِى ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، والتهكم مثل: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [هود: ٨٧].

القاعدة الثانية والعشرون:

صيغة (أفعل التفضيل)

الأصل أنها تفيد الأفضلية لمن أُضيفت إليه[١]

توضيح القاعدة:

صيغة أفعل تفيد الأفضلية لما ذُكرت له، وقد تأتي للمفاضلة بين شيئين مشتركين وليس بلازم.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤].

ـ **التدبر**: دلت صيغة التفضيل على شدة قسوة قلوبهم بحيث أصبحت أقسى من الحجر.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١].

ـ **التدبر**: أفادت صيغة التفضيل ﴿ أَوْفَىٰ ﴾ على أنه لا أوفى بالعهد من الله ﷻ، وفي هذا تربية على اليقين بعهد الله.



(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٣٠٣.

القاعدة الثالثة والعشرون:

(الباء) في القرآن تأتي لعدة معانٍ

أشهرهما:

أ ـ السببية: أي بسبب كذا وكذا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤].

ـ التدبر: أفادت باء السببية أنهم ظلموا أنفسهم بسبب اتخاذهم العجل؛ وفي هذا دلالة على أن الظلم بسبب أعمال الإنسان نفسه.

ب ـ الملابسة: أي التَلَبُّس والإلتصاق بمعنى أن الأمر متلبسٌ به، كقوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ـ التدبر: أي اتباعٌ متلبسٌ بالمعروف ومصاحب له، ففي العفو عن القصاص حسنُ اقتضاءٍ إن وقع مطل بالدية، وتهاون بتقسيط الدية.

القاعدة الرابعة والعشرون:
حروف التوكيد في القرآن تفيد تأكيد المعنى[1]

توضيح القاعدة:

من أساليب العرب تأكيد الكلام بصيغ وحروف، ومن تلك الحروف:

(إنَّ ـ أنَّ ـ لام التوكيد ـ ونون التوكيد ـ ألا الاستفتاحية).

فإذا ورد أحد هذه الحروف في آية فإنه يفيد الاهتمام والعناية والتوكيد.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

ـ التدبر: في الآية تأكيد الله لعباده مغفرته ورحمته من خلال (نون ولام التوكيد)، وفي هذا تربية على حسن الظن بالله.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ـ التدبر: دلت الآية على ابتلاء الله لعباده اختبارًا لهم وتمحيصًا، وأكد ذلك بلام ونون التوكيد، وفي هذا تربية على الصبر.

(١) انظر: البلاغة العربية ١/ ١٨٦.

القاعدة الخامسة والعشرون:

التقديم في آيات القرآن إنما يكون لفائدة، وغالبًا يأتي للاهتمام

توضيح القاعدة:

لغة العرب مبنية على ترتيب الألفاظ، والألفاظ تابعة للمعاني، فما كان من المعاني هامًّا قُدِّم في الترتيب، فتقديم ما حقه التأخير لا يكون إلا لفائدة، وأغلب فوائد التقديم الاهتمام والعناية بما قُدِّم[1].

أمثلة توضح القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ـ **التدبر**: قُدِّم ذكر المرض والسفر لتطمين السامع على أن الصيام ليس واجبًا على كل حال.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

ـ **التدبر**: قُدِّم الجار والمجرور على متعلقه للاهتمام بتوحيد طلب الرزق من الله.

(١) هناك أغراض أخرى للتقديم، منها: تقديم المسرة كقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣]، وتعجيل المساءة كقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٧٩]، التشويق كقوله: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ ﴾ [الحج: ٧٢]، مراعاة الترتيب الوجودي كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. انظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير المسيري، ص٤٨.

القاعدة السادسة والعشرون:
إذا نفى الله شيئًا عن نفسه فهو إثباتٌ لضده(١)

توضيح القاعدة:

الإيمان بالله يقتضي الإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، فإذا نفى الله شيئًا عن نفسه فيفيد ذلك أمران:

ـ انتفاء الأمر الذي نفاه الله عن نفسه.

ـ إثبات ضد ذلك الشيء المنفي؛ لأن الله إذا نفى شيئًا فهو إثبات لكمال ضده.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ـ **التدبر**: في الآية دلالة على نفي النعاس والنوم عن الله سبحانه، وفي هذا إثبات لكمال حياته وقيوميته.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤].

ـ **التدبر**: في الآية دلالة على إثبات عدل الله سبحانه؛ لأن الله نفى عن نفسه الظلم.



(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٩.

القاعدة السابعة والعشرون:

ألفاظ العموم مثل: (أسماء الشرط، الأسماء الموصولة، النكرة في سياق نفي أو نهي، كل، جميع)[(١)]، تفيد عموم الآية

توضيح القاعدة:

اللفظ العام هو: اللفظ الذي يشمل جميع أفراده، فإذا ورد في الآية فإنه يفيد العموم، وللعموم أدوات، منها:

أ ـ أسماء الشرط وهي: مَن، ما، إذا، متى، أين، أنى، حيث، أي.

ب ـ الأسماء الموصولة: مَن، ما، الذي والتي وفروعهما.

ج ـ النكرة في سياق نهي، كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

د ـ النكرة في سياق نفي، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هـ ـ (أل) الاستغراقية، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨].

أمثلة توضح القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

(١) انظر: إرشاد الفحول ١/ ٢٨٩، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، ص٢٠٨.

ـ التدبر: دلت الآية على أن كل من عمل صالحًا وهو مؤمن فهو داخل في الوعد، لأن ﴿ مَنْ ﴾ اسم موصول يفيد العموم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢].

ـ التدبـر: دلـت الآيـة علـى إسـناد الحمـد كلـه لله؛ لأن الألـف واللام (الحمد) تفيد الاستغراق والعموم.



القاعدة الثامنة والعشرون:

ابتداء الآية بحرف (إذا) وأسماء الإشارة والاستفهام؛ يفيد التشويق[١]

توضيح القاعدة:

أسلوب التشويق من أهم الأساليب لتحفيز الذهن على الانتباه وإرعاء السمع، لأنه يستدعي متعلقًا بعده أو جوابًا فيتشوق الذهن لسماعه، فإذا ابتدأت الآية بحرف (إذا) أو (أسماء الإشارة) فتفيد التشويق لما يأتي بعده[٢].

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

ـ التدبر: ابتداء الآية باسم الإشارة يفيد التشويق لما بعده.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١].

ـ التدبر: ابتداء الآية بالاستفهام يفيد التشويق لسماع الحديث ورعاية الانتباه له.

(١) انظر: التحرير والتنوير

(٢) من أساليب التشويق في القرآن: عود الضمير على متأخر كالهاء في قوله: ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١]، والاستفهام التشويقي كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وزيادة الإطناب أحيانًا كقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

القاعدة التاسعة والعشرون:
الفعل الْمُضَعَّف يدل على شدة الفعل وقوته(١)

توضيح القاعدة:

الفعـل الْمُضَعَّف هو الذي عينه ولامه من جنـس واحد في الثلاثي مثل (شدَّ) أو فاؤه ولامه الأولى، وعينه ولامه الثانية من جنس واحد في الرباعي مثل (زلزل)(٢).

فهذا يدل على قوة الفعل وشدته.

أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء:٩٤].

ـ التدبـر: دل تضعيف الفعـل ﴿ فَكُبْكِبُواْ ﴾ على زيـادة معنى في الفعل وهو رميهم فـي النار، مما يدل علـى إهانتهم وذلهـم؛ إذ أن تضيف الفعل يدل على قوته.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ـ التدبـر: دلـت صيغـة التضعيـف ﴿ يَغْضُضْنَ ﴾ علـى قـوة خفضهـن لأصواتهن؛ إذ أن التضعيف يفيد قوة الفعل وشدته.

(١) انظر: التحرير والتنوير ٣/ ١٤٧.

(٢) المضعف من الثلاثي ما كان عينه ولامه من جنس واحد، والمضعف من الرباعي ما كان فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وعينه ولامه الثانية من جنس واحد. انظر: شـرح ابن عقيل ٤/ ٢٧١.

القاعدة الثلاثون:
(نا) الدالة على الفاعلين
و(نحن) في القرآن تدل على تعظيم الله لنفسه

توضيح القاعدة:

إذا ورد في الآية القرآنية نـا الدالة على الفاعليـن أو الضمير المنفصل (نحن) فهي تفيد تعظيم الله لنفسه وهو أهلٌ للتعظيم.

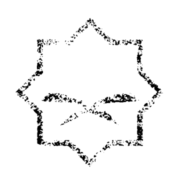
أمثلة على القاعدة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ـ **التدبر**: دلت الآية على عظمة الله وتعظيمه لنفســه لأمـور: (النا الدالة على الفاعلين ثلاث مرات؛ ولوجود الضمير المنفصل (نحن).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١].

ـ **التدبر**: في الآية دلالة على تعظيم الله لنفســه؛ حيث تكررت نا الدالة على الفاعلين مرتين والتي تفيد العظمة في قوله ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.



الفصـــل الثالـث
تطبيقات على قصار المفصل

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ
﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

تفسير السورة:

أقسم الله بوقت الضحى وهو الساعات الأولى من النهار، وبالليل إذا سكن بالخلق واشتد ظلامه، ما تركك ـ أيها النبي ـ ربك، وما أبغضك

بإبطاء الوحي عنك، ولَلدَّار الآخرة خير لك من دار الدنيا، ولسوف يعطيك ربك ـ أيها النبي ـ مِن أنواع الإنعام في الآخرة فترضى بذلك، ألم يَجِدْك من قبلُ يتيمًا فآواك ورعاك؟ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان فعلَّمك ما لم تكن تعلم؟ ووجدك فقيرًا فساق لك رزقك؟ فأما اليتيم فلا تُسِئْ معاملته، وأما السائل فلا تزجره بل أطعمه، وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها.

تدبرات السورة:

١ ـ دلت السورة على فضيلة وقت الضحى والليل؛ لأن الله أقسم بهما، ومن قواعد التدبر: أن كل ما أقسم الله به فهو معظَّم.

٢ ـ في السورة تقابل بين وقت الضحى والليل إذا غطى الأرض؛ فالضحى هو وقت الانتشار والليل هو وقت السكون؛ وهذا يدل على الحِكم الباهرة في خلق الله للأضداد مما فيه صلاح حياة العباد.

٣ ـ الظرف ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: غطَّى بظلامه وعمَّ السكون؛ إقسام الله بهذا الوقت تحديدًا يدل على أهميته، وقد ورد في السنة فضيلة الصلاة في الليل وأفضلها في الثلث الأخير؛ فمن قواعد التدبر: أن الله لا يقسم إلا بعظيم.

٤ ـ دلت السورة على صلة الله بنبيه ﷺ ومحبته لقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ فقد نفى الله الوداع والبغض؛ ومن قواعد التدبر: أن حرف الواو يفيد التغاير بين المتعاطفين.

٥ ـ لفظ الربوبية في قولـه: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ وإضافته للنبي ﷺ إضافة تشريف يدل على رعاية الله لنبيه ﷺ وتربيته له بالنعم واللطائف؛ فمن قواعد التدبر: وجود مناسبة بين الآية وما فيها من الأسماء الحسنى.

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ ﴾ دلالة على وعد الله لرسوله ﷺ بالخيرية العامة الشـاملة، فمن قواعـد التدبر أن: لام الاختصـاص في قوله: ﴿لَّكَ ﴾ تفيد الاختصاص.

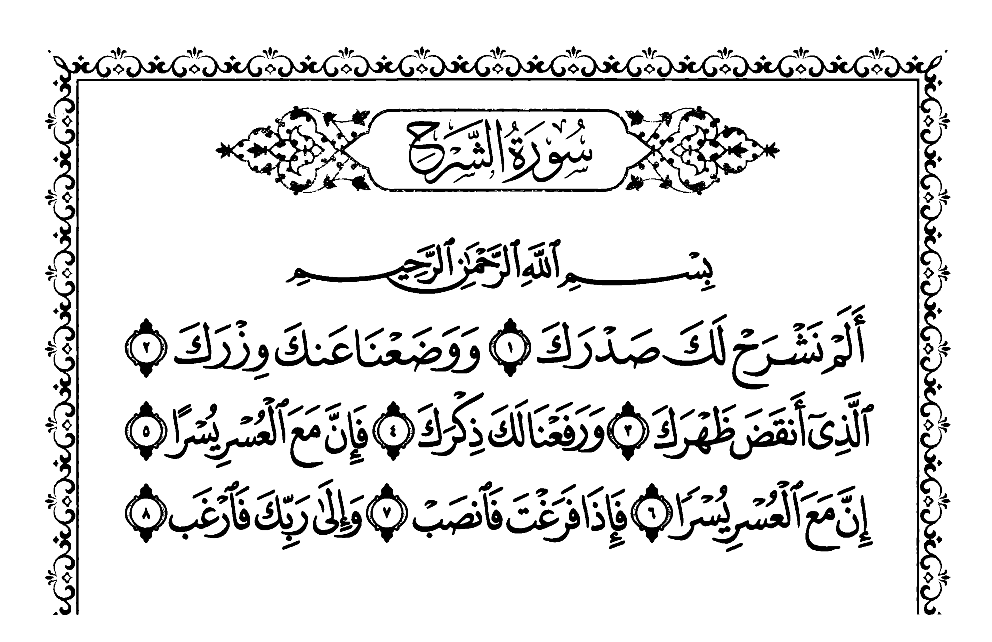
٧ ـ يدل قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ على أن عطاء الله لنبيه ﷺ مستمر لا ينقطـع فـي المسـتقبل، فمن قواعـد التدبـر: أن حـروف الاسـتقبال تفيد حصول الأمر في المستقبل؛ وتختص (سوف) بالتراخي أكثر من (السين)[1].

٨ ـ حـذف المفعول الثاني = المعمـول لقوله: ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ يفيد عمـوم العطاء وسـعته له ولأمتـه؛ فمـن قواعد التدبـر: حـذف المتعلق يفيد العموم.

٩ ـ الاسـتفهامات فـي قولـه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ تفيد تقريـر الله لنبيه ﷺ بما أنعم عليه من النعم؛ فمن قواعد التدبر: أن الاستفهام يأتي للتقرير حسب سياق الآيات.



(١) انظر: شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش ٥/ ٩٥.



تفسير السورة:

ألم نوسع ـ أيها النبي ﷺ ـ لك صدرك لشرائع الدين، وحططنا عنك بذلك حِمْلك الذي أثقل ظهرك، وجعلنا اسمك في منزلة رفيعة؟ فإن مع الضيق فرجًا، إن مع الضيق فرجًا، فإذا فرغت من عمل من الأعمال الصالحة فأتعب نفسك في عمل آخر، وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده.

تدبرات السورة:

١ ـ دل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ على تقرير الله لرسوله على تلك نعمة شرح الصدر ليحمدها ويشكرها؛ فمن قواعد التدبر: أن الاستفهام يأتي للتقرير حسب سياق الآيات.

٢ ـ يدل قوله تعالى: ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ على علو منزلة النبي ﷺ عند ربه؛ إذ بيَّن أن الشرح كان له ﷺ تكرمةً؛ فمن قواعد التدبر: أن لام التعليل تفيد علة الأمر، واللام هنا للتعليل فيكون المعنى: شرحنا صدرك لأجلك.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يدل على تأكيد مقارنة اليسر للعسر لوجود حرف التوكيد (إنَّ) وقد أُعيد مرتين؛ ومن قواعد التدبر: أن حرف (أنَّ) من حروف التأكيد التي تؤكد الآية.

٤ ـ في قوله: ﴿يُسْرًا﴾ دلالة على عظم تيسير الله بعد العسر؛ فمن قواعد التدبر: أن التنكير يفيد التعظيم، وكلمة ﴿يُسْرًا﴾ نكرة؛ فالمعنى: إن مع العسر يسرًا عظيمًا.

٥ ـ تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ يفيد الأمر بالرغبة إلى الله وحده لا إلى غيره، فمن قواعد التدبر: أن تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص والاهتمام.

سُورَةُ التِّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

تفسير السورة:

أَقْسم الله بفاكهتي التين والزيتون، وأقسم بجبل طور سيناء الذي كلَّم الله عليه موسى تكليمًا، وأقسم بمكة البلد الأمين من كل خوف، لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، إلا الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص، أيُّ شيء يحملك ـ أيها الإنسان ـ على أن تكذِّب بالبعث والجزاء، أليس الله هو أحكم الحاكمين القادر على إحياء الموتى.

تدبرات السورة:

١ ـ دل القسم بالتين والزيتون على منفعتهما للناس، وفي هذا امتنانُ الله على العباد بـأن خلقهما للناس؛ فمن قواعد التدبر: أن الله ﷻ يقسـم بأمرٍ عظيم.

٢ ـ دل القسم بطور سيناء على تشريف هذا المكان؛ فمن قواعد التدبر: أن الله ﷻ يقسم بأمرٍ عظيم.

٣ ـ قولـه: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ يـدل علـى تَمَكُّـن حسـن التقويـم مـن الإنسـان، وهذا من امتنـان الله على الإنسـان؛ فمن قواعد التدبـر: أن حرف الظرفية ﴿فِيٓ﴾ يدل على التمكن والملابسة.

٤ ـ يدل التنوين في قوله: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ﴾ علـى عظيم الأجر الذي ينتظر المؤمن عند ربه لكرامته عليه، فمن قواعد التدبر: أن التنوين يفيد التعظيم.

٥ ـ يدل قولـه تعالى: ﴿بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ علـى أن الله أحكم من حكم في الأحكام؛ وسـعة حكمه وحكمته سـبحانه، فمن قواعد التدبر: أن أسماء التفضيل تقتضي التفضيل واتساع المسمى بها على غيره.



سُورَةُ العَلَق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

تفسير السورة:

اقرأ - أيها النبي ﷺ - ما أُنزل إليك من القرآن مُفْتَتِحًا باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر، اقرأ - أيها النبي ﷺ - ما أُنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علَّم خلقه الكتابة بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم، كلا، إن الإنسان ليتجاوز

حـدود الله إذا أبطـره الغنـى، أرأيت أعجـب مِن طغيـان هذا الرجـل ـ وهو أبو جهل ـ الذي ينهى عبدًا لنا إذا صلَّى لربه ـ وهو محمد ﷺ ـ؟ أرأيت إن كان المنهـي عـن الصلاة علـى الهدى فكيـف ينهـاه؟ أو إن كان آمـرًا غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟ أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما يُدعى إليه وأعرض عنه، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يفعل؟ كلا، ليس الأمر كما يزعم، لئن لم يرجـع هذا عن شـقاقه وأذاه لنأخـذنَّ بمقدَّم رأسـه أخذًا عنيفًـا، ويُطرح في النار، ناصيته ناصية كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها، فليُحْضِر هذا الطاغية أهل ناديه الذين يسـتنصر بهم، سـندعو ملائكة العـذاب، كلا، لا تطعه فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة، واسجد لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته.

تدبرات السورة:

١ ـ يـدل قوله تعالـى: ﴿ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ علـى اسـتعانة الإنسـان بربه في قراءتـه؛ فمن قواعـد التدبر: أن الباء تأتي للاسـتعانة، ويكـون المعنى: اقرأ مستعينًا باسم الله.

٢ ـ تخصيص اسـم الرب في قوله: ﴿ رَبِّكَ ﴾، وتخصيـص صفة الخلق في قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ متناسب مع اعتراف المشركين بربوبية الله؛ وفي هذا إلزام لهم بتوحيد الألوهية عن طريـق اعترافهم بتوحيد الربوبية؛ ومن قواعد التدبر: أن هناك تناسب بين أسماء الله الحسنى وسياق الآيات.

٣ ـ وصـف الله بقولـه: ﴿ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ يـدل على عظـم كرم الله وأنـه أكرم الأكرمين؛ فمن قواعد التدبر: أن أسماء التفضيل تقتضي التفضيل.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ يدل على أن الطغيان حال الاستغناء من طبيعة النفس البشرية ما لم يعصمه الله لأن الله أكد ذلك بعدة مؤكدات؛ ومن قواعد التدبر: حرف ﴿إِنَّ﴾ ولام الابتداء تفيدان التأكيد، كما أن (الألف واللام) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تفيد الاستغراق في العموم.

٥ ـ في قوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ إثبات البعث حيث أكده الله بحرف التأكيد ﴿إِنَّ﴾، وقدم الجار والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، ومن قواعد التدبر: أن حرف ﴿إِنَّ﴾ يفيد التأكيد، وتقديم الجار والمجرور يفيد الاهتمام.

٦ ـ في قوله: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ دلالة على استمرار المشركين في نهي النبي ﷺ عن الصلاة، وفي هذا شدة معاناته ﷺ في تبليغ دين الله، ومن قواعد التدبر: أن صيغة المضارع ﴿يَنۡهَىٰ﴾ تفيد الاستمرار والتجدد.

٧ ـ قوله: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ محذوف المفعول ليفيد العموم، فالله يرى كل شيء ولا تخفى عليه خافية، ومن قواعد التدبر: أن حذف المعمول يفيد العموم.

٨ ـ يدل قوله: ﴿وَٱقۡتَرِب﴾ على الأمر بالاجتهاد بالقرب كما تفيده صيغة (افتعل)، ومن قواعد التدبر: أن زيادة المبنى يفيد زيادةً في المعنى، وكلمة ﴿وَٱقۡتَرِب﴾ فيها زيادة.



سُورَةُ القَدرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥

تفسير السورة:

إنا أنزلنا القرآن في ليلة الشرف والفضل، وما أدراك ـ أيها النبي ﷺ ـ ما ليلة القدر والشرف؟ ليلة القدر خيرٌ من فضل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، يكثر نزول الملائكة وجبريل ﷺ فيها، بإذن ربهم من كل أمر قضاه في تلك السنة، أمنٌ هي لا شرَّ فيها إلى مطلع الفجر.

تدبرات السورة:

١ ـ يدل قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ على تعظيم الله لنفسه، والله يحب المدح، ومن قواعد التدبر: ضمير ﴿إِنَّآ﴾ و(الناء الدالة على الفاعلين) في حق الله تدل على التعظيم.

٢ ـ دل قوله ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ على أن القرآن ابتدأ نزوله في ليلة القدر؛

مما يجعل شهر رمضان شهر القرآن؛ فمن قواعد التدبر: أن الظرف ﴿فِي﴾ يفيد يأتي لبيان الظرفية الزمانية.

٣ ـ إعادة لفظ ليلة القدر ثلاث مرات في السورة يدل على طلب الاهتمام بهذه الليلة الشريفة؛ فمن قواعد التدبر: أن إعادة اللفظ الظاهر بدلًا من المضمر يدل على الاهتمام والعناية.

٤ ـ في قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ دلالة على استمرار نزول الملائكة في تلك الليلة المباركة إلى الفجر؛ فمن قواعد التدبر: أن صيغة المضارع ﴿تَنَزَّلُ﴾ تفيد الاستمرار.

٥ ـ يدل قوله: ﴿تَنَزَّلُ﴾ على كثرة الملائكة الذين ينزلون في لية القدر؛ وذلك لأن كلمة ﴿تَنَزَّلُ﴾ فيها شدة وهي حرف مضعَّف، ومن قواعد التدبر: أن زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى.

٦ ـ قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ يدل على علو قهر الله وسلطانه وقوته إذ لا تتنزل الملائكة حتى يأذن الله؛ فمن قواعد التدبر: أن الباء تأتي للسببية، فيكون المعنى: تتنزل الملائكة بسبب إذن الله لهم.

٧ ـ التنكير في قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ يدل على عظم ما في ليلة القدر من سلامة من الشرور والآثام وحصول للخيرات؛ فمن قواعد التدبر: أن التنوين يفيد التعظيم.

٨ ـ قوله: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ يدل على قصر مدة ليلة القدر، فهي تمتد إلى طلوع الفجر فقط، فمن قواعد التدبر: حرف الغاية ﴿حَتَّىٰ﴾ يفيد انتهاء الغاية عند ما بعده؛ فيكون المعنى: ليلة القدر تنتهي عند مطلع الفجر.

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

تفسير السورة:

لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعِدوا بها في الكتب السابقة، وهي رسول الله محمد ﷺ،

يتلو قرآنًا في صحف مطهرة، في تلك الصحف أخبار صادقة وأوامر عادلة، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد ﷺ رسولًا حقًّا؛ لما يجدونه من نعته في كتابهم، إلا مِن بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعِث جحدوها وتفرَّقوا، وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيمان، ويقيموا الصلاة، ويُؤَدُّوا الزكاة، وذلك هو دين الاستقامة، إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخليقة شرًّا، إن الذين صَدَّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات أولئك هم خير الخلق، جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار، تجري من تحت قصورها الأنهار خالدين فيها أبدًا، رضي الله عنهم بأعمالهم، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

تدبرات السورة:

١ ـ تقديم أهل الكتاب على المشركين في قوله: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يكون لنكتةٍ؛ ولعلها: أنَّ أهل الكتاب أتقن في صياغة الشبهات لما عندهم من العلم، فكانت شبهتهم: أننا لا ننفك عن أمرنا حتى تأتينا بينة؛ ومن قواعد التدبر: أن التقديم في القرآن يكون لنكتةٍ لطيفة.

٢ ـ يدل قوله: ﴿قَيِّمَةٌ﴾ على شدة الاستقامة، وقد وردت في السورة مرتين:

ـ ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: وهي تدل على شدة استقامة آيات القرآن وبُعدها عن الاعوجاج.



- ﴿ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾: وهي تدل على شدة استقامة دين الإسلام.

- فمن قواعد التدبر: أن صيغة المبالغة تدل على شدة واتساع في الأمر؛ فالقيمة مبالغة من القائم ضد المعوج.

٣ - قوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ﴾ يدل على أن الأمر بالعبادة وأنها الغاية التي لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب؛ فمن قواعد التدبر: أن لام التعليل ﴿ لِيَعْبُدُواْ ﴾ تفيد علة الحكم.

٤ - يدل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ على خلود المشركين في النار من جهتين:

- لأنه أكد الخبر بحرف التوكيد ﴿ إِنَّ ﴾.

- الظرف (في) والذي يقتضي التلبس والإحاطة كإحاطة الظرف بالمظروف.

- فمن قواعد التدبر: أن حرف (إنَّ) يفيد التأكيد؛ والظرف يفيد الإحاطة.

وكذلك القول في ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾.

٥ - وصف أهل الكتاب والمشركين بأنهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ دلالة على أنهم شر الناس فلم ينفعهم كتابهم ما لم يصل بهم للهداية؛ وذلك من خلال أمرين:

- ضمير الفصل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ ﴾، فضمير الفصل يفيد الاختصاص، والمعنى: أن كونهم شر البرية وصف خاص بهم لا يشاركهم فيه أحد، فمن قواعد التدبر: أن ضمير الفصل يفيد الاختصاص.

ـ كلمة ﴿ شَرُّ ﴾ وهي اسم تفضيل، فمن قواعد التدبر: أن اسم التفضيل ﴿ شَرُّ ﴾ يدل على تَمَكُّن المسمى بذلك، والمعنى: أولئك هم أشد الناس شرًا.

٦ ـ يدل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ أن سبب خلودهم النار كفرهم بالله العظيم، فمن قواعد التدبر: أن صلة الموصول ﴿كَفَرُواْ﴾ هي علة الحكم بكونهم من أهل النار.

٧ ـ ويدل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ على اختصاص الخيرية بأهل الإيمان حيث أكد الخبر بحرف التأكيد ﴿ إِنَّ ﴾ وضمير الفصل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ ﴾ والذي يفيد اختصاص الخيرية بالمؤمنين.

٨ ـ دل قوله: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ على عظيم جزاء المؤمنين عند ربهم حيث أسند الجزاء إلى اسم (الرب) والذي يقتضي تربية المربوب والعناية به، ومن قواعد التدبر: التناسب بين الأسماء الحسنى وسياق الآيات.

٩ ـ تقديم رضاء الله عن أهل الجنة على رضاهم عنه بقوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ يدل على أن رضاء الله هو السابق فمن رضي الله عنه يسر له أسباب رضاه عن ربه، كما أن من أحبه الله يسر الله له أسباب حب الله، فمن قواعد التدبر: أن التقديم إنما يكون لنكتة ولطيفة.

١٠ ـ يدل قوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ على تحقق جنات عدن ورضاء الله لمن تحقق فيه وصف الخشية، فكل مَن خشي الله رضي الله عنه، فمن قواعد التدبر: أن لام التمليك ﴿لِمَنْ﴾ تفيد الملك والاختصاص.



تفسير السورة:

إذا رُجَّت الأرض رجًّا شديدًا، وأخرجت ما في بطنها من موتى وكنوز، وتساءل الإنسان: ما الذي حدث لها؟ يوم القيامة تُخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر، وبأن الله ﷻ أمرها بأن تُخبر بما عُمل عليها، يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافًا متفرقين؛ ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويجازيهم عليها، فمن يعمل وزن ذرة صغيرة خيرًا فسيرى ثوابه في الآخرة، ومن يعمل وزن ذرة صغيرة شرًا فسيرى عقابه في الآخرة.

تدبرات السورة:

١ ـ في بداية السورة أسلوب تشويق من خلال ابتدائها بإذا الظرفية وتطويل الفاصل بين مطلع السورة ومقصودها وهو قوله ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾، ومن قواعد التدبر: أن الابتداء بالظرف يفيد التشويق.

٢ ـ يدل قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ على شدة ما يحدث للأرض يوم القيامة؛ فإن التزلزل يفيد شدة حركة الأرض واضطرابها وانقلاب أعلاها إلى أسفلها؛ ومن قواعد التدبر: أن تضعيف الفعل ﴿زُلْزِلَتِ﴾ يدل على شدة الزلزلة وقوتها، ولهذا ضُعِّف حرف الزاي واللام.

٣ ـ دل قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ على أن أهوال يوم القيامة مرعبة لكل حي يدركها، وقد ورد في السنة أنها تقوم على شرار الناس، فمن قواعد التدبر: أن الألف واللام ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ تفيد الاستغراق فيشمل كل إنسان.

٤ ـ تقديم الظرف ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ ﴾ و﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ ﴾ فيه تربية على الاهتمام بشأن قيام الساعة والاستعداد لها والبعث والنشور، فمن قواعد التدبر: أن تقديم الظرف يفيد الاهتمام.

٥ ـ قوله: ﴿زُلْزِلَتِ﴾ ﴿وَأَخْرَجَتِ﴾ ﴿وَقَالَ﴾ جاءت بصيغة الماضي مع كونها مستقبلية تنزيلًا لها منزلة ما حدث وفُرِغ منه، وفي ذلك تربية للمؤمن على اليقين بيوم القيامة، فمن قواعد التدبر: أن التعبير عن المستقبل بالماضي يفيد تحقق الوقوع.

٦ ـ قُدِّم قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ على قوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ حثًّا على فعل الخير وترغيبًا له، فمن قواعد التدبر: أن التقديم في القرآن إنما يكون لنكتةٍ ولطيفة.

٧ ـ يدل قوله: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا ﴾ على عدم احتقار أي عملٍ من أعمال الخير؛ فمن قواعد التدبر: أن النكرة ﴿خَيْرًا ﴾ يفيد العموم والشمول.

ومثله قوله ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا ﴾ يدل على عدم التهاون بصغائر الذنوب والخطايا.





تفسير السورة:

أقسم الله تعالى بالخيل الجاريات في سبيله نحو العدوِّ، حين يظهر صوتها من سرعة عَدْوِها، وتنقدح النار من قوة حوافرها وشدَّة جريها، فالمغيرات على الأعداء عند الصبح، فهيَّجْنَ بهذا العَدْو غبارًا، فتوسَّطن بركبانهن جموع الأعداء، إن الإنسان لِنعم ربه لَجحود، وإنه بجحوده ذلك لمقر، وإنه لحب المال لشديد، أفلا يعلم الإنسان ما ينتظره إذا أخرج الله الأموات من القبور للحساب والجزاء؟ واستُخرج ما استتر في الصدور من خير أو شر.

تدبرات السورة:

١ ـ دل القسم بالخيل على فضيلتها وشرفها، فمن قواعد التدبر: أن الله يقسم بعظيم.

٢ ـ تحديد الإغارة صباحًا في قوله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ دليل على محبة الله للإغارة على العدو في هذا الوقت، وقد كان ذلك فعل النبي ﷺ، ومن قواعد التدبر: أن الظرف ﴿صُبْحًا﴾ يفيد أفضلية الزمن وشرفه.

٣ ـ دلَّت صيغة المبالغة ﴿لَكَنُودٌ﴾ على أن الجحد صفة في النفس البشرية ما لم يقاومها الإنسان بحمد الله والرضا عنه، وهذا عام في كل إنسان، ومن قواعد التدبر: أن صيغة المبالغة ﴿لَكَنُودٌ﴾ تفيد الشدة وقوة تمكن الصفة، والمعنى: إن الإنسان لشديد الجحد لنعم ربه، وفي هذا تربية للمسلم على كثرة الحمد والشكر.

كما أن من قواعد التدبر: أن الألف واللام ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تفيد الاستغراق والعموم، والمعنى: كل إنسان.

٤ ـ ذكر الرب في قوله: ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ فيه إشعار بما يلحق الإنسان من لوم وتوبيخ بسبب جحده لربه الذي يربيه بالنعم ويقوم على حاجاته، ومن قواعد التدبر: التناسب بين الأسماء الحسنى وسياق الآيات.

٥ ـ دلَّ قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ على التأكيد بمعرفة الإنسان نفسه وبصيرته بها، والمعنى: إن الإنسان شهيد عليم بجحده، ومن قواعد التدبر:

ـ أن حرف (إنّ) يفيد التأكيد.

ـ وتقديم الجار والمجرور ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ يفيد الاهتمام بشهادة الإنسان على نفسه.

ـ ولام التأكيد ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يفيد الاختصاص والتمليك.

٦ ـ أكّد قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ فطرة النفس البشرية في حب المال، فليحذر المؤمن من طغيان هذا الجانب على حب الله، ومن قواعد التدبر: أن حرف (إنّ) و(لام التوكيد) يفيدان التوكيد.

٧ ـ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ دلالة على التهويل والتخويف، فمن قواعد التدبر: أن حذف مفعول الفعل ﴿يَعْلَمُ﴾ لكي يذهب الذهن كل مذهب في الخوف، والمعنى: أفلا يعلم الإنسان ماذا ينتظره إذا بعثر ما في القبور.

٨ ـ في قوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ الإنكار على من غفل عن البعث، وهذا يتضمن أمرين:

ـ الإنكار على المنكرين من الكافرين.

ـ تثبيت المؤمنين على عقيدة الإيمان بالبعث.

ـ فمن قواعد التدبر: أن الاستفهام يأتي للإنكار.

٩ ـ يفيد قوله ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ دقة علم الله وإحاطته من خلال:

ـ حرف التوكيد ﴿إِنَّ﴾.

ـ إظهار اسم الجلالة ﴿رَبَّهُم﴾ بشكل ظاهر وليس مضمر، فلم تكن الآية (إنه بهم).

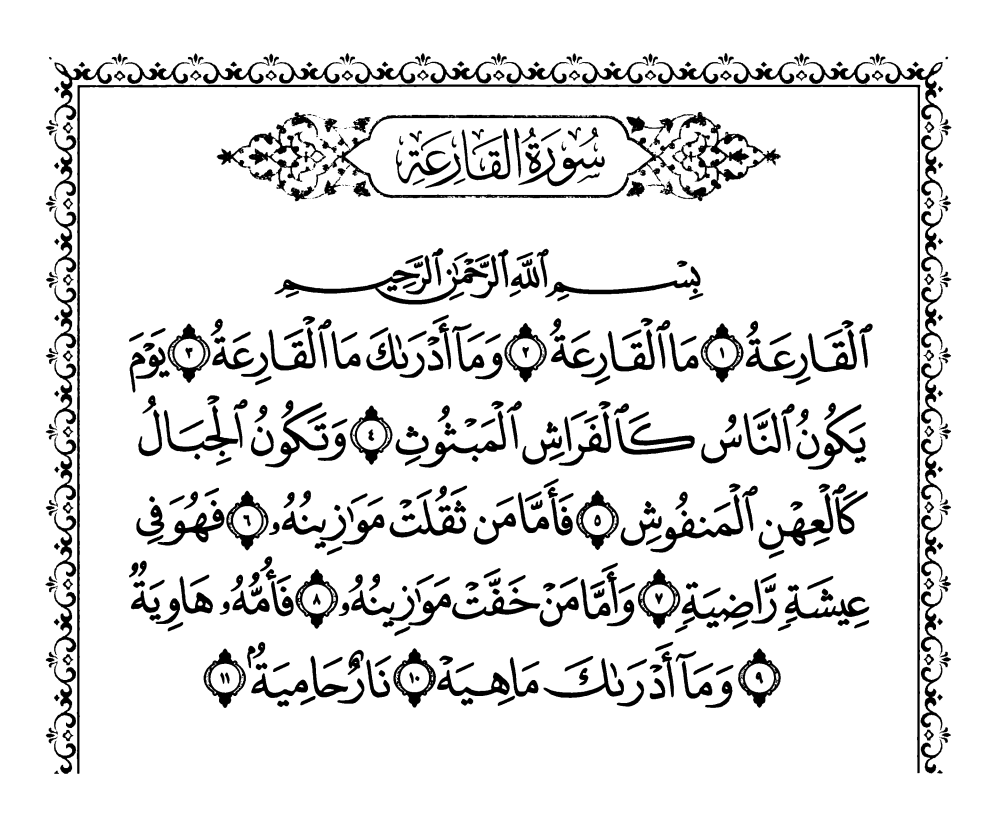
ـ لام التوكيد ﴿لَّخَبِيرٌ﴾.

ـ تقديم الجار والمجرور ﴿بِهِمْ﴾ يفيد تخصيصهم بالخبرة في هذا الموضع.

ـ الإتيان باسم الله الخبير والذي يقتضي دقة علمه وسعته سبحانه مما يناسب علمه بما يحصل من الصدور.

ـ ومن قواعد التدبر: أن حرف (إن) و(لام التوكيد) يفيدان التوكيد، وكذلك تقديم الجار والمجرور يفيد الاهتمام، وأيضًا التناسب بين الأسماء الحسنى وسياق الآيات.





تفسير السورة:

الساعة التي تقرع قلوب الناس بأهوالها، أيُّ شيء هذه القارعة؟ وما أدراك يا محمد ﷺ أيُّ شيء هذه القارعة؟ في ذلك اليوم يكون الناس كالفراش المنتشر، وتكون الجبال كالصوف الذي يُنْفَش باليد فيصير هباء ويزول، فأما من رجحت موازين حسناته، فهو في حياة مرضية في الجنة، وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته، فمأواه جهنم، وما أدراك ـ أيها الرسول ـ ما هذه الهاوية؟ نار قد حَمِيت من الوقود عليها.

تدبرات السورة:

١ ـ مطلع السورة يفيد التهويل والتخويف من خلال:

ـ أعاد لفظ القارعة ولم يضمرها فقال ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، فلم يقل: القارعة ما هي؟ ومن قواعد التدبر: أن إظهار الاسم في مقام الإضمار يفيد الاهتمام والعناية.

ـ الإتيان بالاستفهام المفيد للتهويل والتعظيم؟

ـ نفي الدراية حتى عن النبي ﷺ مع ما هو عليه من علمٍ بالله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

٢ ـ التشبيه بالفراش في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ يحتمل:

ـ لأن الفراش يسير إلى غير جهة محددة؛ وهذا حال الناس حين الفزع والقيام من القبور.

ـ وعلى قول بعض المفسرين بأن الفراش هو الجراد: فالتشبيه لأجل الكثرة.

ـ فمن قواعد التدبر: أن التشبيه في القرآن يقتضي وجه شبه بين المشبه والمشبه به.

٣ ـ قُدِّم ثقيل الميزان ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ على خفيف الميزان ترغيبًا لعباده؛ فإن المقام مقام ترهيب بالحديث عن يوم القيامة فناسب أن يرغب مراعاة للنفوس، فمن قواعد التدبر: أن التقديم في القرآن إنما يكون لنكتة.

٤ ـ دل قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ على عظم النعيم للمؤمن، فمن قواعد التدبر: أن حرف الظرفية ﴿فِي﴾ يقتضي الإحاطة، فالمعنى: فهو مقيم يحيط به النعيم.

٥ ـ وصف النار بكونها حامية ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ مع أن النار حامية بطبيعتها لكونه أوقع للترهيب والتخويف؛ ومن قواعد التدبر: أن التوكيد اللفظي يفيد قوة المعنى.



سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

تفسير السورة:

شغلكم عن طاعة الله التفاخر بكثرة الأموال والأولاد وغيرهما، واستمر اشتغالكم بذلك إلى أن دفنتم بالمقابر، كلا، سـوف تتبيَّنون أن الدار الآخرة خير لكم، ثم احذروا سـوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عنها، لو تعلمون حق العلـم لبادرتم إلـى إنقاذ أنفسـكم مـن الهـلاك، لتبصـرُنَّ الجحيم، ثم لتبصرُنَّها دون ريب، ثم لتسألُنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم.

تدبرات السورة:

١ ـ في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ذمٌ لكل ما ألهى وأشغل، وهذا يتضمن التحذيـر للمؤمـن، فمن قواعـد التدبـر: أن حذف مفعـول ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ يفيد العموم والشمول.

٢ ـ ذكر زيارة المقابر بلفظ الماضي ﴿زُرْتُمُ﴾ مع كونه مستقبلي لإفادة تحقق الموت والبعث يقينًا، وفي ذلك تربية للمؤمن على اليقين وحث للكافر على الإيمان بالبعث، ومن قواعد التدبر: أن التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يفيد تحقق الوقوع.

٣ ـ يفيد قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ سؤال العباد عن النعيم، وهذا يربي الاستعداد لسؤال الله؛ وذلك من خلال ما يلي:

ـ لام التأكيد ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾.

ـ نون التوكيد ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾، فمن قواعد التدبر: أن لام ونون التوكيد تفيدان التوكيد.

ـ تقديم الظرف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عن الجار والمجرور مما يفيد الاهتمام بيوم القيامة.

٤ ـ السورة مليئة بالتهديد والوعيد، وبيان ذلك:

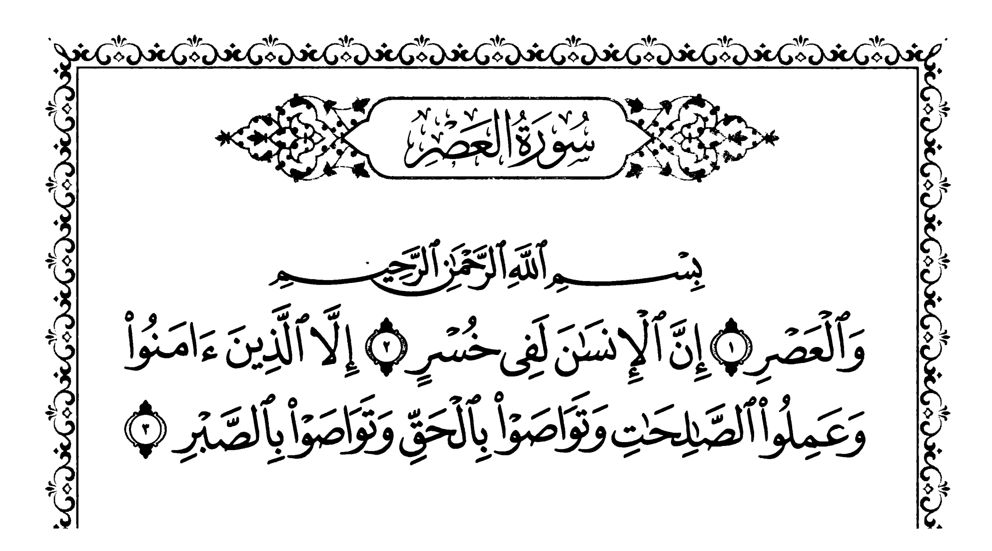
ـ حرف الزجر والتهديد ﴿كَلَّا﴾ حيث تكرر ثلاث مرات.

ـ حذف مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في السورة كلها ليجعل الذهن يذهب في الخوف كل مذهب.

ـ إعادة الجملة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مرتين.

ـ ومن قواعد التدبر أن حرف ﴿كَلَّا﴾ حرف تهديد ووعيد، وكذلك حذف المعمول يفيد زيادة التهويل.





تفسير السورة:

أقسم الله بالعصر وهو يشمل صلاة العصر ووقت العصر والدهر ـ على أن الإنسـان لفي هلكة ونقصان ـ إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحًا، وأوصى بعضهم بعضًا بالاستمساك بالحق، وتواصوا فيما بينهم على الصبر.

تدبرات السورة:

١ ـ دل القسـم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ على فضيلة وقت العصر ويدخل فيه صلاة العصـر ـ على القـول بأن المراد بـه ما بين الظهـر والمغـرب ـ وهو الوقت الذي تنتهي فيه الأعمال ويؤوب الإنسـان إلى نعمة الأهل والمسـكن، فمن قواعد التدبر: أن الله يقسم بعظيم.

٢ ـ في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ دلالة على عظم خسارة الإنسان من خلال:

ـ تأكيد الآية بحرف التوكيد ﴿إِنَّ﴾.

ـ (ال) الاستغراقية والمقتضية للعموم ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾.

ـ لام التوكيد، ومن قواعد التدبر: من حروف التوكيد (إنَّ) و(لام) التوكيد.

ـ الظرف ﴿لَفِى﴾ والمفيد للإحاطة والتمكن، فكأن الخسارة محيطة بالإنسان متمكنة منه وهو بداخلها.

ـ تنكير كلمة ﴿خُسْرٍ﴾، ومن قواعد التدبر: أن التنكير يفيد التعظيم، فالمعنى: إن الإنسان لفي خسارة عظيمة.

٣ ـ يدل قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ على فوز المؤمنين لاستثنائهم من الخسران، فمن قواعد التدبر: أن حروف الاستثناء تفيد خروج المستثنى من أحكام المستثنى منه.

٤ ـ دلت السورة على أسباب النجاة من الخسارة، وهي:

ـ الإيمان.

ـ عمل الصالحات.

ـ التواصي بالحق.

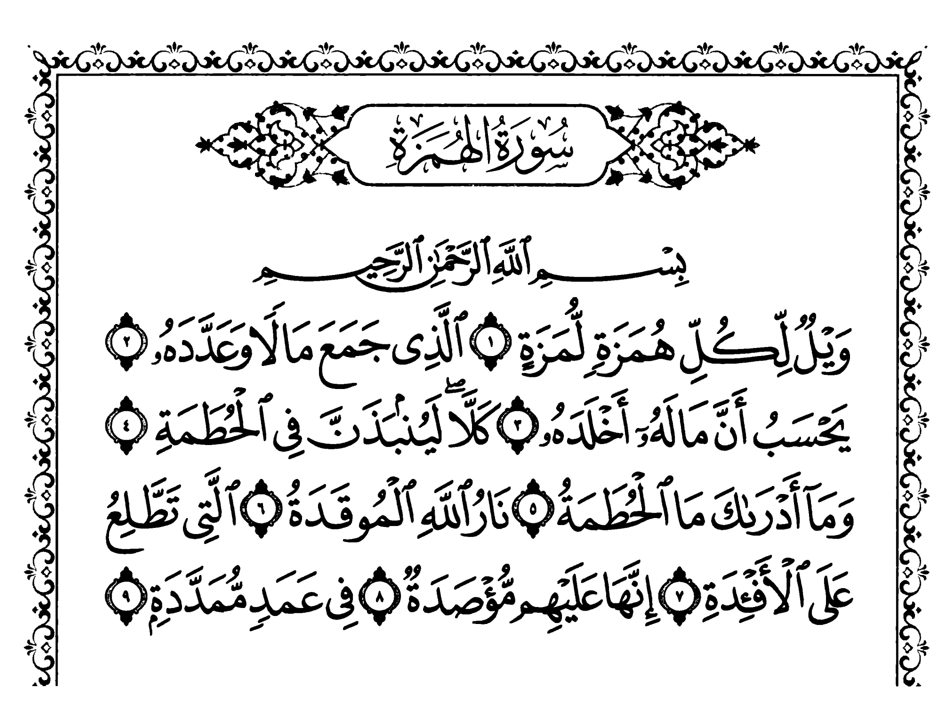
ـ التواصي بالصبر.

ـ فمن قواعد التدبر: أن الاستثناء يفيد مخالفة المستثنى لأحكام المستثنى منه، وكذلك: صلة الموصول هي العلة المعلق عليها الحكم، فقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

٥ ـ قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ قُدم الإيمان لأنه الأصل الذي يُبنى عليه الأعمال، ثم عُطف بالأعمال الصالحات لأنها ركن الإيمان، ثم عُطف بالتواصي بالحق لأهمية الدعوة، ثم خُتم بالصبر لأن الأذى سيلحقهم على دعوتهم فاحتاجوا التواصي بالصبر، ومن قواعد التدبر: أن التقديم في القرآن إنما يكون لنكتة.

٦ ـ دل قوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ ﴾ على أن التواصي بالحق والصبر سلوكٌ للمؤمنين متجدد ومستمر، فمن قواعد التدبر: أن الفعل المضارع ﴿وَتَوَاصَوۡاْ ﴾ يدل على التجديد والمداومة.





تفسير السورة:

شر وهلاك لكل مغتاب للناس طعان فيهم، الذي كان همُّه جمع المال وتعداده، يظن أنه ضَمِنَ لنفسه بهذا المال الخلود في الدنيا، ليس الأمر كما ظن ليُطرحنَّ في النار التي تهشم كل ما يُلْقى فيها، وما أدراك ـ أيها الرسول ـ ما حقيقة النار؟ إنها نار الله الموقدة التي من شدتها تنفُذ من الأجسام إلى القلوب.

تدبرات السورة:

١ ـ دل قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ على الردع والزجر لكل همَّازٍ لمَّاز، ومن قواعد التدبر: أن كلمة ﴿وَيْلٌ﴾ يفيد الزجر، على خلاف بين المفسرين في معناه.

٢ ـ يفيد قوله: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ كثرة صدور الهمز واللمز للمؤمنين حتى صار عادة لهم، كما هي عادة أهل الكفر، ومن قواعد التدبر: أن صيغة (فُعَلَة) من صيغ المبالغة التي تدل على كثرة الفعل.

٣ ـ في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ دلالةٌ على عظيم نِعَم الله على هذا الهمَّاز اللمَّاز، لكنه لم يقابلها بالشكر وذلك من خلال ما يلي:

ـ لفظ الجمع والذي يفيد الكثرة.

ـ تنكير لفظ المال ﴿مَالًا﴾، ومن قواعد التدبر: أن التنكير يفيد التعظيم.

ـ صيغة المبالغة ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ وهي تحتمل أنه أكثر من عَدِّه، ويحتمل أنه أكثر أنواع ماله وعدَّد أصنافها، وعلى كلِ احتمال فهي تفيدُ الكثرة، ومن قواعد التدبر: صيغة المبالغة تدل على الكثرة.

٤ ـ السورة ممتلئة من أساليب التهديد والوعيد وهي:

ـ حرف الزجر ﴿كَلَّا﴾.

ـ لام ونون التوكيد ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾.

ـ الظرف والذي يفيد الإحاطة ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾.

ـ الاستفهام ﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ المقتضي لعدم العلم بحقيقتها لعظم هولها.

ـ تكرار السؤال ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ والذي يدل على شدة هولها.

ـ إعادة اللفظ الظاهر ﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ دون المضمر، فلم يقل: وما أدراك ماهيه؟

٥ ـ السورة تربي على مقام الخوف من عذاب الله من خلال:

ـ إضافة النار لله ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ وهي إضافة تشعر بأنها شديدة حيث أُضيفت لخالقها.

ـ وصف النار بكونها ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ وهو وصفٌ يفيد لزوم التوقد والاشتعال.

ـ وصف النار بكونها تطلع على الأفئدة من شدة إحراقها.

ـ وصف النار بكونها مغلقة ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ وهي تدل على عدم خروجهم.

ـ وصف إغلاق النار بكونه في ﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ لدوام بقائهم فيها.



سُورَةُ الفِيلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥

تفسير السورة:

ألم تعلم أيها الرسـول كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة وجيشـه، ألـم يجعـل ما دبَّروه من شـر في بطـلان وتضييع؟ وبعـث عليهم طيـرًا في جماعات متتابعة، تقذفهـم بحجارة من طين متحجِّـر، فجعلهم به محطمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

تدبرات السورة:

١ ـ في قولـه: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تربيـة للمؤمن علـى اليقين بأخبـار الله إذ أن النبي ﷺ لم يدرك حادثة الفعل ومع هذا جاء الخطاب له بالرؤية.

٢ ـ قوله: ﴿كَيۡفَ﴾ دون سائر أدوات الاسـتفهام الأخرى دليلٌ على شـدة تفاصيل الحادثة وقوتها، ويؤيد ذلك قوله: ﴿فَعَلَ﴾ التي تدل على

أن الفعل كان عظيمًا، ومن قواعد التدبر: أن أسماء الاستفهام تأتي لأغراض معينة.

٣ ـ قوله: ﴿رَبُّكَ﴾ المضاف للنبي ﷺ يفيد تكريم النبي ﷺ وإلماحًا إلى عنايته وحفظه له، ومن قواعد التدبر: أن كلمة ﴿رَبُّكَ﴾ فيها تكرمةٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ.

٤ ـ يدل قوله: ﴿كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ على تشتت مكرهم وشدة مكر الله بهم؛ فمن قواعد التدبر: أن الظرف ﴿فِي﴾ تدل على الإحاطة والمصاحبة فكأن كيدهم في إناء التضليل فلم يبقَ منه شيء.

٥ ـ قوله ﴿تَضْلِيلٍ﴾ يفيد شدة ضلال كيد أصحاب الفيل وبوارهم، ومن قواعد التدبر: أن زيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى، فكلمة ﴿تَضْلِيلٍ﴾ أشد من كلمة (ضلال).

٦ ـ قَدَّم الجار والمجرور: ﴿عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ لإفادة التخصيص، فكأن المعنى: مرسلة مخصوصة عليهم دون غيرهم، ومن قواعد التدبر: أن تقديم الجار والمجرور يفيد التخصيص.

٧ ـ يدل قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ على شدة ما وقع عليهم من العذاب بحيث جرح بعضهم وقطَّع آخرين بعد قوتهم واجتماعهم؛ لأنه شبههم بورق الزرع الذي أكلته البهائم فأصبح هشيمًا بعد خضرته، ومن قواعد التدبر: أن التشبيه يقتضي وجه شبه بين المشبه والمشبه بهم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

تفسير السورة:

اعْجَبوا لإلف قريش وأمنهم وانتظام رحلتيهم في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، فليوحدوا رب هذا البيت ـ وهو الكعبة ـ، الذي أطعمهم من جوع شديد، وآمنهم من فزع وخوف عظيم.

تدبرات السورة:

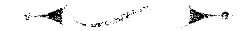
١ ـ قُدِّم الجار والمجرور ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ على متعلقه ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ وفُصل بينهما بعدة كلمات تشويقًا لسبب الإلف، واهتمامًا به وتذكيرًا من الله لهم بنعمة إلفهم الرحلة في الشتاء والصيف، ومن قواعد التدبر: أن تقديم الجار والمجرور يفيد الاهتمام.

٢ ـ قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ صيغة مبالغة من الإلف، وتكررت مرتين مما يدل على استقرار نعمة الرحلة في الشتاء والصيف حتى اعتادوا عليها وصارت مألوفة لهم من غير مخاطر، وهذا أعظم في إقامة الحجة عليهم، ومن قواعد التدبر: أن صيغة المبالغة ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ تدل على قوة الفعل وهو الإلف.

٣ ـ إضافة الرب للبيت الحرام في قوله: ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ يفيد تكرمةً للبيت الحرام، ولإيمانهم برب البيت فيكون من باب الإلزام لهم بتوحيد الألوهية، ومن قواعد التدبر: تناسب الأسماء الحسنى مع سياق الآيات.

٤ ـ دل الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ على أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فمن قواعد التدبر: أن صلة الموصول يفيد عِليَّة الحكم.

٥ ـ دل قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ على أن الجوع والخوف عقوبة ربانية حيث امتن الله على قريش بانتفائهما، والجوع والخوف متلازمان فالجوع يقود إلى القتل والنهب والخوف، فمن قواعد التدبر: أن الاقتران يكون لحكمة.



سُورَةُ الماعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

تفسير السورة:

أرأيت الذي يكذِّب بالبعث والجزاء؟ فذلك الذي يدفع اليتيم بعنف، ولا يحثُ غيره على إطعام المسكين، فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها ولا يؤدونها في وقتها، الذين هم يتظاهرون بأعمال الخير مراءاة للناس، ويمنعون إعارة ما فيه إعانة لغيرهم.

تدبرات السورة:

١ ـ ابتدأت السورة بأسلوب مشوق يستدعي الذهن أن ينصت لها من خلال:

ـ قوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ وهو استفهام تعجبي يفيد التعجب من هذا الذي يكذب بيوم الدين، ومن قواعد التدبر: أن الاستفهام يأتي لغرض التعجب.

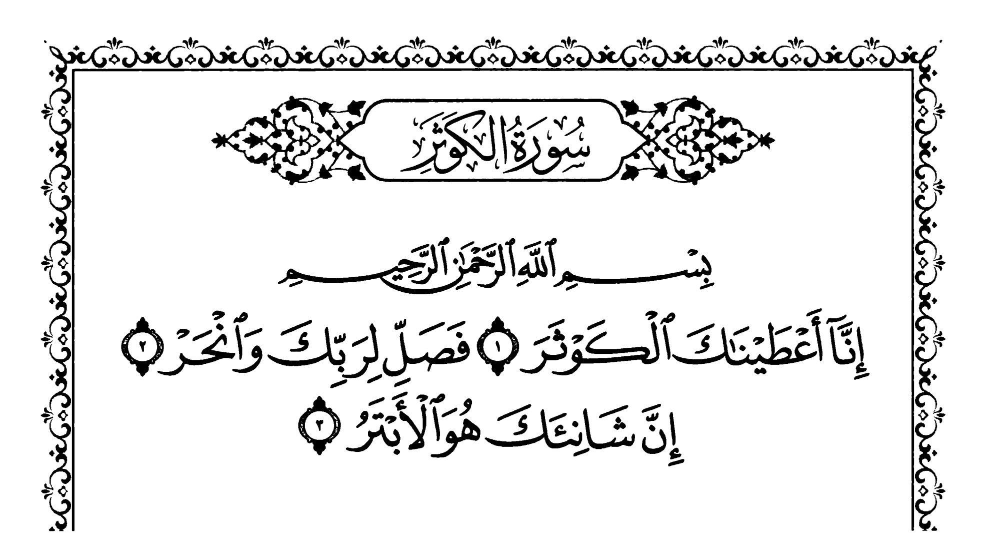
ـ وجود الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ مما يجعل الذهن يتشوف لمعرفة من هو؟

٢ ـ صيغة المضارع ﴿يُكَذِّبُ﴾ ﴿يَدُعُّ﴾ ﴿يَحُضُّ﴾ تفيد تكرار صفة التكذيب بيوم الدين وطرد اليتيم والتواصي بعدم إطعام المساكين، وهذه عادة أهل الكفر، ومن قواعد التدبر: أن صيغة المضارع تفيد الاستمرار والتجديد.

٣ ـ نفي الحض على إطعام المسكين ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ دليل على المكذب بالدين أشد شحًا ببذل طعامه؛ فإنَّ نفي الحض يدل على نفي البذل من باب أولى، وهذا يصور لنا ما عليه الكافر من شح وبخل، ومن قواعد التدبر: أن نفي الأمر نفيٌ لما هو أولى منه.

٤ ـ في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ تهديد ووعيد للساهي عن الصلاة، فمن قواعد التدبر: أن كلمة (ويل) كلمة تهديد وزجر.





تفسير السورة:

إنا أعطيناك أيها النبي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة، فأخلص لربك صلاتك كلها، واذبح ذبيحتك له، إن مبغضك هو المنقطع أثره المقطوع من كل خير.

تدبرات السورة:

١ ـ في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ تعظيم الله لنفسه وهو أهلٌ للتعظيم، فمن قواعد التدبر: أن (نا) الدالة على الفاعلين من صيغ التعظيم.

٢ ـ يدل قوله: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ على تحقق ذلك العطاء للنبي ﷺ حيث أنه جاء بلفظ الماضي مع كونه في المستقبل، ومن قواعد التدبر: أن التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يفيد تحقق الوقوع.

٣ ـ دل قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ على شكر النعم بمقابلتها بالطاعات كالصلاة والذبح لله، فمن قواعد التدبر: أن الفاء للتعقيب تفيد تفريع ما بعدها على ما قبلها.

٤ ـ في قوله: ﴿لِرَبِّكَ ﴾ حثٌ على تجريد الإخلاص لله؛ فمن قواعد التدبر: أن اللام تفيد التخصيص، فالمعنى: فصلِ قاصدًا مخلصًا لربك لا لغيره.

٥ ـ قُدِّم الأمر بالصلاة على النحر في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ يفيد أن الذبح يوم النحر بعد صلاة العيد، فمن قواعد التدبر: أن التقديم إنما يكون للترتيب أحيانًا.

٦ ـ يدل قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ على ذم مبغض النبي ﷺ وانقطاع الخير عنه من خلال:

ـ حرف التوكيد (إنّ).

ـ ضمير الشأن (هو) والذي يفيد القصر والتخصيص.

ـ فمن قواعد التدبر: أن حرف (إن) يفيد التوكيد، وضمير الشأن يفيد القصر.

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

تفسير السورة:

قل أيها الرسول: يا أيها الكافرون بالله، لا أعبد ما تعبدون من الأصنام، ولا أنتم عابدون ما أعبد من إله واحد، ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام والآلهة الباطلة، ولا أنتم عابدون مستقبلا ما أعبد، لكم دينكم الذي أصررتم على اتباعه، ولي ديني الذي لا أريد غيره.

تدبرات السورة:

١ ـ يفيد مطلع السورة ﴿قُلْ﴾ على شحذ الاهتمام والانتباه لما بعدها، فمن قواعد التدبر: أن كلمة ﴿قُلْ﴾ في القرآن تفيد الاهتمام بما بعدها.

٢ ـ النداء في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يفيد إقبال الذهن والانتباه، فمن قواعد التدبر: أن النداء يأتي لشحذ الذهن والانتباه.

٣ ـ دل قوله: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ على نفي عبادة النبي ﷺ لمعبوداتهم في حاضر شأنه ومستقبله، فمن قواعد التدبر: أن المضارع ﴿أَعۡبُدُ﴾ يدل على الحال والاستقبال، فالمعنى: لا أعبد معبوداتكم في وقتي الحاضر ولا في المستقبل.

٤ ـ دل قوله: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ على تأكيد نفيه بتركه معبوداتهم وذلك لكمال يقينه ﷺ؛ فمن قواعد التدبر: أن الجملة الإسمية تفيد الثبات والدوام.

٥ ـ دل قوله: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ على تخصيص دينهم لهم وفي هذا تمام البراءة من الشرك والكفر وأهله، فمن قواعد التدبر: أن تقديم الجار والمجرور ﴿ لَكُمۡ ﴾ يفيد التخصيص، ويؤيده كاف الخطاب ﴿دِينُكُمۡ﴾.



سُورَةُ النَّصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾

تفسير السورة:

إذا جاء النصر وفتح مكة، ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات، فسبح بحمد الله واطلبه المغفرة من ذنوبك، إن الله كان توابًا على المستغفرين.

تدبرات السورة:

١ ـ يفيد قوله: ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ أنه نصرٌ عظيم مبين حيث أُضيف إلى الله، فمن قواعد التدبر: أن الإضافة إلى الله تُفيد التشريف والفضل.

٢ ـ تقديم التسبيح على التحميد لأنه تنزيه لله عما لا يليق به مما يقوله ويفعله الإنس والجن، والتنزيه حقه التقديم على الثناء بين يدي الملوك، فمن قواعد التدبر: أن التقديم إنما يكون لنكتة ولطيفة.

٣ ـ تقديم التسبيح والتحميد على الاستغفار في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ يدل على تقديم الثناء على الله بين يدي الدعاء وطلب المغفرة، فمن قواعد التدبر: أن التقديم إنما يكون لنكتةٍ ولطيفة.

٤ ـ قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ يفيد عظمة توبة الله على عباده من خلال:

ـ حرف التوكيد ﴿إِنَّهُۥ﴾.

ـ كان التامة.

ـ صيغة المبالغة (فعَّال) (توابا)، وهي تقتضي كثرة من يتوب الله عليهم.

ـ التنوين في ﴿تَوَّابَۢا﴾ وهو يفيد التعظيم.

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

تفسير السورة:

خسرت يدا أبي لهب وشقي، وقد تحقق خسران أبي لهب، ما أغنى عنه ماله وولده من عذاب الله إذا نزل به، سيدخل نارًا متأججة، هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، في عنقها حبل ليف في نار جهنم.

تدبرات السورة:

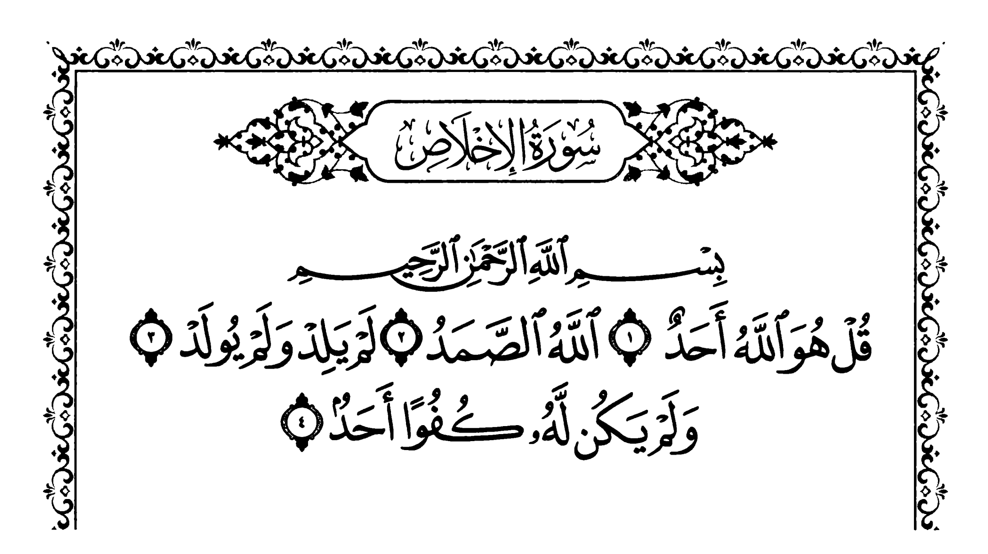
١ ـ قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ جمع التهديد والتوبيخ والذم، فمن قواعد التدبر: أن لفظ ﴿تَبَّتْ﴾ من ألفاظ الذم التي تتضمن التوبيخ والتهديد.

٢ ـ قوله: ﴿ مَا أَغْنَىٰ﴾ تفيد تحقق عدم انتفاء انتفاع أبي لهب بماله، فمن قواعد التدبر: أن التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يفيد تحقق الوقوع.

٣ ـ التنوين والتنكير في قوله: ﴿نَارًا﴾ يفيد عظمتها وشدتها، فمن قواعد التدبر: أن التنكير والتنوين يفيدان التعظيم.

٤ ـ قُدِّم الخبر ﴿فِي جِيدِهَا﴾ للاهتمـام ببيان حالة عذابها إهانة لها؛ إذ أن ربـط العنـق دليـل إذلال، فمن قواعـد التدبـر: أن التقديم يفيـد الاهتمام والعناية.





تفسير السورة:

قل أيها الرسول: هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، الله وحده المقصود في قضاء الحوائج والرغائب، ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، ولم يكن له مماثلا ولا مشابهًا أحد من خلقه.

تدبرات السورة:

١ ـ ابتداء السورة بقوله: ﴿قُلْ﴾ يفيد شحذ الأذهان للانتباه لمقول القول، فمن قواعد التدبر: أن ﴿قُلْ﴾ في القرآن تستدعي الانتباه وشحذ الهمم.

٢ ـ ضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ يفيد التخصيص والاهتمام بالجملة التي بعده، فمن قواعد التدبر: أن ضمير الشأن يفيد الاهتمام.

٣ ـ قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أعاد اللفظ ولم يأتِ مضمرًا نحو (هو الصمد) لأن المقام بيان صفات الله وتعريفه لخلقه، فمن قواعد التدبر: أن إعادة الظاهر بدل المضمر للعناية.

٤ ـ تقديم المجرور على متعلقه في قوله: ﴿لَهُۥ كُفُوًا﴾ للاهتمام بنفي الله الشبيه والمثيل، فمن قواعد التدبر: أن تقديم المجرور على متعلقه يفيد الاهتمام.

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

تفسير السورة:

قل أيها الرسول: أعتصم برب الصبح، من شر جميع المخلوقات وأذاها، ومن شر الليل إذا دخل وتغلغل، ومن شر الساحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عُقَد بقصد السحر، ومن شر حاسد مبغض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نعم، وأراد زوالها عنهم.

تدبرات السورة:

١ ـ ابتداء السورة بقوله: ﴿قُلْ﴾ يفيد شحذ الأذهان للانتباه لمقول القول، فمن قواعد التدبر: أن ﴿قُلْ﴾ في القرآن تستدعي الانتباه وشحذ الهمم.

٢ ـ الإضافة في قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فيها تربية المؤمن على التفاؤل بالله وحسن الظن به إذ الله رب الفلق أخرجه من بعد ظلمة الليل، فكذلك الله يتولى ما يعترض المؤمن من شرور، ومن قواعد التدبر: أن الأسماء الحسنى تتناسب مع سياق الآيات.

٣ ـ أُعيد لفظ ﴿مِن شَرِّ﴾ أكثر من مرة تأكيدًا للدعاء وتحذيرًا من الشرور.

٤ ـ تنكير لفظ ﴿غَاسِقٍ﴾ وهو الليل ليشمل جميع الشرور التي تحدث ليلًا، ومن قواعد التدبر: أن التنكير للتعظيم.

٥ ـ أَعقب الاستعاذة من شر الليل بالاستعاذة من شرور السحرة فقال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ لأن السحرة يتحينون الليل لعقد سحرهم وإرسال شياطينهم، ومن قواعد التدبر: أن التقديم إنما يكون لنكتةٍ ولطيفة.



سُورَةُ النَّاسِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

تفسير السورة:

قل أيها الرسول: أعتصم برب الناس، المتصرف في كل شؤونهم، إله الناس الذي لا معبود بحق سواه، من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله، الذي يبثُّ الشر والشكوك في صدور الناس، من شياطين الجن والإنس.

تدبرات السورة:

١ ـ ابتداء السورة بقوله: ﴿قُلۡ﴾ يفيد شحذ الأذهان للانتباه لمقول القول، فمن قواعد التدبر: أن ﴿قُلۡ﴾ في القرآن تستدعي الانتباه وشحذ الهمم.

٢ ـ قُدِّمت صفة الربوبية ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ على الملك والألوهية: لأن وسوسة الشيطان المستعاذ منها تقع على جميع الناس فناسب الاستعاذة بالذي يربيهم بالنعم، ثم ثُنِّي بصفة الملك ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ لبيان أنه القاهر لهم والمتصرف بهم، ثم ذكر الألوهية ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ كالنتيجة لما سبق فمن عرف أن ربوبية الله وملكه عَبَدَهُ وتأله له، فمن قواعد التدبر: التناسب بين الأسماء الحسنى وسياق الآيات.

٣ ـ تكررت كلمة ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ولم تأتِ مضمرة تأكيدًا لربوبية وملك الله لهم، فمن قواعد التدبر: أن وضع الظاهر موضع المضمر إنما يكون لفائدة.

٤ ـ قوله: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ أي: المختفي على صيغة (فعَّال) وهي تفيد كثرة خنوسه، إما لأنه مختفٍ بصدور الناس ويوسوس لهم، أو لأنه كلما ذُكر الله اختفى، ومن قواعد التدبر: أن صيغة (فعَّال) تفيد المبالغة.

٥ ـ قُدِّم الجنة على الناس في قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ لأن الشياطين هم أصل الوسوسة، فمن قواعد التدبر: أن التقديم إنما يكون لنكتةٍ ولطيفة.





الفهـــرس

الفصل الثالث
تطبيقات على قصار المفصل

